روايات أحلام

الأفق الضائع

بلا عنوان
www.liilas.com

الافق الضائع

يلهث كثير من الناس طوال حياتهم سعياً وراء الشهرة والثروة، ولكن هذا لم يكن حال أوما بايروت، فقد تخلت عن الأضواء في قمة مجدها بعد موت أخيها لتعيش حياة عادية في الظل، بائعة زهور...

وكانت سعيدة في حياتها حتى أوقعها سوء حظها في طريق ستان اواردز، محام ناجح وسياسي على طريق المجد، يعرف من أين تؤكل الكتف، وأدرك أن أوما هي الورقة الرابحة في حملته السياسية، فاستطاع بقليل من الجهد أن يسقطها في حبائله.

لكن ماذا سيفعل ستان عندما يكتشف أن أوما المسكينة التي وقعت في غرامه لا تستطيع العودة إلى الأضواء حتى لو أرادت هذا من أجل حبيبها؟ وهل يضحي بها من أجل مستقبله؟

www.liilas.com

١ ـ لقاء عاصف

صدحت الألحان المألوفة من جهاز الموسيقى وأخذت أوما تدندن عن غير وعي.. كانت ترتب زهور الأقحوان الضوئية اللون، في القارة.. وارتفع صوتها مع اقتراب الأغنية من نهايتها وتراجعت إلى الخلف معجبة بما صنعت.. ولم تحس أن الباب انفتح أو أن شخصاً دخل إلى المتجر، وكسر الصمت الذي عقب آخر الأنغام صوت فيه رهبة:

ـ يا إلهي أوما.. لن أستطيع أبداً أن أفهم كيف تمكنت من التوقف!

استدارت أوما مجفلة فرأت صديقتها داريا تنظر إليها وعلى وجهها تعابير الإعجاب.. فكشرت قليلاً وقالت:

ـ لقد أخفتني. لم أسمعك تدخلين.. هل بلغت الساعة السادسة؟

كان اليوم يوم جمعة، وسنخرج مع داريا بعد ساعات العمل لتناول العشاء، ثم للذهاب إلى السينما. أجابت داريا:

ـ تقريباً.. لقد تحايلت وأقفلت محل الهدايا أبكر بقليل. ولو كنت أعرف أنك تقيمين حفلة غنائية لكنت تركت العمل أبكر من هذا. هيا.. غنِّ لي أغنية أخرى!

دارت حول منصة العرض، وجلست على كرسي مرتفع تحتفظ به أوما هناك. وابتسمت ابتسامة تودّد، فهزّت أوما رأسها قائلة: لا تكوني سخيفة! ماذا لو دخل زبون؟ سيظن أنني جننت!

نقلت الباقة الخاصة بعيد الهالويين إلى البراد:

www.liilas.com

ـ أتمزحين؟ إن سماع أوما بايروت شخصياً سيثير له يومه! ما كان يجب أن تتوقفي عن الغناء.

نظرت داريا إليها بفضول، وهزت رأسها قليلاً.. من السهل تصور أوما في دور نجمة رغم أن قصة شعرها عادية وماكياجها كان خفيفاً.. فقد كان فيها شيء ما غير محدد المعالم. لم يكن ببساطة الجمال فقط، فهي بالتأكيد جميلة بشعرها الرائع الأحمر البني الذي يحيط بوجه بيضاوي كلاسيكي، مكمّل بعينين كبيرتين بنيتين تميلان إلى اللون الكرزي.. فهناك هالة ما، سحر يلفت الانتباه بطريقة لا يستطيعها الجمال العادي.

قالت داريا باندفاع:

ـ كان يمكن أن تصبحي نجمة متألقة الآن.

هزت أوما كتفيها دونما اكتراث، وأخذت تنظف بقايا أوراق الزهور كي لا تنظر إلى صديقتها.. كان فضول داريا بشأن أوما بايروت يثير الاضطراب. تمنت أوما لو أنها لم تبح لها بسرّها، فمنذ أن اكتشفت مهنتها القديمة كمغنية، وهي تمطرها بأسئلة عن حياتها السابقة.. ومع علمها أنها كانت تجرح مشاعرها برفضها مناقشة الأمر معها، فأوما لم تكن تنوي قطّ أن تفعل هذا.. إنه الماضي الذي مات ودفن، ولن تنبشه لإرضاء فضول صديقتها.

ومع ذلك كانت تحس بعقدة ذنب نحوها، واستسلمت في النهاية لرجاء داريا بالغناء لها.. وبدأت أوما بالغناء مع تحول الجهاز إلى نغم أغنية أخرى.. وبعد بضعة مقاطع استدارت قليلاً كي لا ترى الفتاة وجهها.. لقد غنت هذه الأغنية مئات المرات من قبل، فقد كانت أغنية رئيسية في عرضهما.. وفي أثناء تفكيرها استطاعت سماع صوت أخيها باول الجهوري المليء بالرجولة، يرافقها في الغناء. وآغرورقت عيناها فجأة بالدموع.. لقد مات منذ خمس سنوات وتتساءل دوماً عما إذا كان

الشوق إليه سيتوقف يوماً؟

مع انتهاء آخر اللحن، رفرفت أوما بعينيها لتبعد البلل عنهما، والتفتت إلى داريا.. لكن لم يكن وجه صديقتها الذي شد انتباهها لحظة طويلة، بل وجه الرجل الواقف خلفها. ولم تستطع سوى التحديق إلى عينيه الزرقاوين المتفرستين بها، وهي لا تزال عالقة في سحر الماضي.. ثم رفع حاجبين أسودين بتساؤل وخطوط وجهه الوسيم تعبر عن تسليته.

اشتعل وجه أوما.. أحست بحرج رهيب بوجود شخص غريب يراقبها تغني في محل لبيع الزهور. وازداد امتقاع لونها وهي تتمتم بالاعتذار:

ـ أنا آسفة! لم أسمعك وأنت تدخل.

تجاهل إحراجها، وتابع التفرس بها، وتعبير الإعجاب في عينيه.. وبينما كانت عيناه تجولان في ثناياها، التي لا يكاد يخفيها «الأفرهول» الجينز الذي ترتديه، أحست أوما بوجهها يزداد حرارة:

ـ هل هناك ما أستطيع مساعدتك به؟ كنت على وشك أن أقفل المحل.

قال بإبهام: «أنت رائعة».

عبست أوما.. فهي لم تفكر أنه يتكلم عن صوتها.

انبرت داريا إلى الحديث بحماسة، تبتسم له:

ـ يجب أن تكون.. ألم تتعرف إليها؟

نظر إلى أوما مبتسماً وقال: أنا آسف.. لم أعرفها.

نظرت أوما إلى داريا نظرة شرسة تجاهلتها الصديقة وسألته:

ـ سمعت بالتأكيد بأوما وباول بايروت؟

ـ آسف.. لا يثير الاسم في نفسي أي رنين.

تدخلت أوما:

ـ أنا واثقة أن السيد على عجلة من أمره يا داريا.. أتريد أزهاراً؟

لسوء الحظ، لم يعر كلامها اهتماماً، وبقي على حاله، ينظر إليها بفضول.

ـ أنت أوما پابروت؟

ردت بقسوة: «كنت».

ثم تذكرت أنه زبون وأحست أنها مجبرة أن ترد عليه..

ـ إنه اسمي الفني.. كنت مغنية محترفة.. الزهور..

ـ محلياً؟

ـ أرجو عفوك؟

ـ أكنت تغنين محلياً؟

دفعت داريا نفسها إلى الحديث مجدداً:

ـ كانت أوما وأخوها نجمين في لاس فيغاس.. وكانا ناجحين جداً.. أستغرب عدم سماعك بهما.. ألم تسمع أغنية «سحر النجوم»؟ كانت أنجح أغنية لهما.. ظلت متربعة في القمة لفترة طويلة.

في يوم ما، سأقتل هذه الفتاة! تعرف أنني لا أحب مناقشة ماضيّ الفني.. ولما بدا لها أن داريا ستتابع إمطار الزبون بتفاصيل عن حياة الثنائي پابروت الفنية، قاطعتها بفظاظة قائلة:

ـ كما قلت، كنت على وشك الإقفال. إذا قلت لي ماذا تحب..؟

وبدل أن يجيبها سألها:

ـ إذن أنت وأخوك غنيتما «سحر النجوم»؟

ردت أوما متوترة: «هذا صحيح.. كنا مشهورين.. والآن، إذا كنت لا تمانع».

تفرس بها لحظات، ثم طافت عيناه في المحل حتى استقرتا على باقة من القرنفل، فأشار إليها:

ـ هذه تفي بالمراد.

سارت إلى منصة العرض لتجلب الأزهار وحين استدارت كان لا يزال ينظر إليها، وفي عينيه بريق تفكير متأمل.

ـ كم من زمن مر لم تغني فيه باحتراف؟

التقت عيناها البنيتان بعينيه الباردتين.. وأسر نظرتها بضع لحظات..

سألته: «أتريد أن تضع عليها بطاقة؟»

انخفضت حرارة عينيه بسرعة:

ـ لا أظن.. الزهور فقط.

حاكت برودة صوته برودة صوتها.. وأخرج محفظته من جيب سترته الداخلي، وأخرج بطاقة اعتماد مصرفي وضعها على المنصة.. وبينما كانت أوما تلف الزهور بأوراق خاصة نظرت إلى البطاقة (ستان أواردز)، سرعان ما تعرفت إلى الاسم.. فله مكتب محاماة في الطوابق العليا من المبنى، ولا شك أنه يمر بالمحل كل يوم.. إضافة إلى أن صورته كانت تظهر في الصحيفة بصفته واحداً من أعضاء المجلس التشريعي في «فانكوفر».

وأحست بقلبها يغور: مع أنه لم يدخل المحل من قبل، إلا أنه من أفضل الزبائن فيه، فقد طلبت سكرتيرته المئات من باقات الزهور باسمه في السنوات الثلاث التي مرت على أوما وهي في مهنتها هذه. وها هي وقد رأته شخصياً تعامله بغاية الفظاظة.

وضعت الباقة على المنصة أمامه، ورسمت ابتسامة دافئة كعرض سلام. لسوء الحظ، لم تتح لها فرصة معرفة ما إذا كان سيرد لها الابتسامة.. وبينما كانت تبعد يديها عن الباقة ارتطمت يدها بوعاء ماء كان فيه منذ قليل زهور الأقحوان فأنسكب محتواه البارد على مقدمة بنطلون ستان اواردز، الخالي من أية شائبة.

فصاحت بذهول: أوه.. لا..!

أخرج منديله يمسح البقعة القاتمة عن بنطلونه الرمادي الفاتح، ويمنع القطرات من أن تتسرب إلى حذائه المصنوع يدوياً قبل أن تجمع أوما شجاعتها لتقول المزيد:

ـ أوه سيد اواردز.. أنا آسفة جداً.

ودارت حول المنصة لتساعده. لكنه رفع يده يوقفها، وقال بصوت أجش:

ـ أرجوك.. لا تزعجي نفسك.

مسح بنطلونه مرة أخيرة، واستقام.. ثم استعاد بطاقة الاعتماد، ودسّها في جيبه:

ـ لقد غيرت رأيي بخصوص الزهور.. أرجو أن تسامحيني لمنعي إياك من إقفال المحل.

حين ارتدّ على عقبيه ليخرج أمسكت أوما بباقة الزهور وأسرعت خلفه:

ـ أرجوك سيد اواردز.. خذ الزهور.. إنها هدية من المحل. أعني إنها أقل ما أستطيع أن أفعله.. ويجب أن ترسل لي فاتورة تنظيف البنطلون.. أنا حقاً آسفة كثيراً.

التفت إليها وعلى وجهه تعابير الغيظ، فعرفت أنه ما زال غاضباً.. لكنه مد يده إلى باقة القرنفل، وقال بتكلف:

ـ شكراً لك.. سآخذ الأزهار.. الوقت متأخر لسوء الحظ ولن أستطيع إيجاد غيرها في مكان آخر.. خاصة وأنا مضطر الآن لتغيير ثيابي.

وابتعد عنها ليخرج من المحل، وأقفل الباب وراءه.

وقفت أوما بخزي تنظر إليه وهو يبتعد، إلى أن قالت داريا من خلفها:

ـ أوما.. كيف استطعت هذا؟ أعرف أنك لا تحبين التحدث عن

أيام الغناء، لكن أكان يجب أن تصبي الماء على الرجل المسكين؟

وجدت أوما متنفساً للّوم الذي كانت توقعه على نفسها، فالتفتت إليها وعيناها تقدحان شرراً.

ـ كان هذا حادثاً! أما بالنسبة للأمر الآخر، فبما أنك تعرفين أنني أكره الكلام عن الماضي، فلماذا قلت له؟ لقد سئمت منك. منذ أن عرفت أنني كنت مغنية وأنت تدورين حولي وكأنني من صنف لعين! وها قد قررت الآن أن تفتحي فمك أمام من تلتقين به، قائلة بأنك تعرفين أوما پايروت العظيمة! حسن جداً.. أدخلي هذا في رأسك: لم يعد لأوما پايروت وجود! لقد ماتت هي وپاول پايروت.. فتوقفي عن نبش الماضي!

أخذ صدر داريا يختلج، وقالت بأسى:

ـ ظننت أننا صديقتان.

نظرت أوما إليها دون تأثر بالدموع المنهمرة على خدي الفتاة. وبعد صمت متوتر، أكملت داريا:

ـ أظن أنه من الغير المتوقع من نجمة كبيرة أن تصادق شخصاً عادياً مثلي! أتصور أنك تخجلين من أن يعرف الناس أي نوع من الصحبة لديك هذه الأيام.

وزال غضب أوما مع سماع صوت الفتاة المجروحة وقالت نادمة:

ـ آسفة داريا.. إننا صديقتان.. ولم يكن من حقي قول تلك الكلمات لك.

ـ لكنك عنيتها.. أليس كذلك؟

ترددت أوما:

ـ حسناً.. ليس بالطريقة التي خرجت بها.. أنت أفضل صديقة لي، إنما ليتك تتوقفين عن الحديث عما كنت عليه يوماً.. إن هذا الجزء من حياتي مضى وانتهى ولا أريد حتى أن أفكر فيه أبداً.

لكن الفتاة الأخرى لم تهدأ، فتقدمت أوما منها خطوة لكن داريا تراجعت.

ـ أوه.. أنا لا أريد مجادلتك داريا.. لكن.. ألا يمكنك أن تنسي ما كنت؟ ألا يمكن أن أكون فقط صديقتك أوما دوناهو التي تدير محل زهور؟

بدا على وجه الفتاة نظرة عناد وفي عينيها بريق.

ـ حسن جداً.. لكن فقط أخبريني لماذا لا تريدين التحدث بالأمر؟ فنحن صديقتان، لذلك يجب ألا يكون هناك أسرار بيننا فلو شرحت لي لتوقفت عن التفوه بكلمة عن أوما بايروت.

نظرت أوما إليها ثم هزت رأسها.. داريا أصغر منها بخمس سنوات، وهذا بالطبع يؤثر في علاقتهما.. لكن أوما لم تشعر قط بهذا الفارق. قالت بلطف:

ـ داريا.. هناك أشياء، حتى أفضل الأصدقاء، لا يمكنهم التحدث عنها.

ـ ألن تخبريني؟

ـ لا..

ـ إذن لا أظن أننا صديقتان.

أحنت أوما رأسها وأخذت تدلك مؤخرة عنقها بعنف.

ـ إذا كان هذا ما تشعرين به، إذن فلسنا صديقتين.

ردت بحدة: «عظيم».

خطت متشنجة تتجاوز أوما، وخرجت من المحل.

لم تتحرك أوما عدة دقائق.. داريا لن تعود.. إنها تعرف الفتاة جيداً ومعرفتها هذه بها أعلمتها بأنها إن لم تستسلم هي لها وتشرح لها كل شيء عن أوما بايروت، فلن تسامحها.. لكنها لن تفعل هذا حتى لإنقاذ صداقتها.

أخيراً تقدمت من الباب، أقفلت الزجاج وأدارت اللوحة إلى جانب «مقفل» وقالت لشجرة ظليلة قرب المدخل:

ـ كأنني أراهن على حياتي اليوم.. خسرت لتوي صديقة وأفضل زبون في أقل من نصف ساعة..

وأجهشت بالبكاء.

كشر ستان اواردز لمنظر دفتر الملاحظات السميك الذي وضعته سكرتيرته أمامه.. كان الآن نادماً على قراره المتهور بأن يدعو الآنسة أديسون إلى العشاء. لكن عندما دعاها بدت له الفكرة جيدة.. فذلك اليوم كان عيد ميلاد العانس المتوسطة العمر، وبدا له أن لا أحد عندها لتحتفل معه بالمناسبة.

في البداية كان الحديث مربكاً.. فلا شيء مشترك بينهما خارج نطاق علاقتهما كموظفة ورب عمل.. لم تكن الأعمال الموضوع المناسب لعشاء احتفالي.. وذكر لها الحادثة التي جرت معه في محل الزهور الذي جلب منه الزهور بمناسبة عيد مولدها.. أثار دون شك الموضوع حديثاً عزيزاً على قلب الآنسة أديسون.

ثار حماس الآنسة أديسون لأن مغنيتها المحبوبة أوما بايروت، هي في الواقع المرأة التي طلبت من عندها الزهور مئات المرات خلال سنوات.. ولم تصدق أن رئيسها لم يسمع بها.. وفي الساعة التالية راحت تعوّض عن «جهله».. على ما يبدو قرأت الكثير من الكتب عن الأخوين.. هذا كان رأي ستان وهو ينظر إلى دفتر الملاحظات.

كان عليه على أية حال الاعتراف بأن الأمسية كانت مسلية. فحتى تلك اللحظات، كان يشك في أن الفتاة الأخرى تبالغ بشأن شهرة صديقتها في الغناء.. لكنها على ما يبدو لم تعط القضية حقها، وأخذ يقرأ قصاصات الصحف التي تسللت من بين صفحات دفتر الملاحظات.. كان للأخوين شهرة وثروة خلال عملهما.. فكما يظهر

في كل المجلات، كانا من أكثر النجوم المحبوبين على مسارح لاس فيغاس.

رن جرس الهاتف الداخلي على مكتبه، فرفع زر النداء: نعم؟

ـ والدك على الهاتف سيد اواردز، هل أوصله بك؟

ـ هيا.. صباح الخير أبي.

رد جوليان اواردز:

ـ ستان.. مسرور لأنني وجدتك، تناولت الغداء مع كابن غارلاند بالأمس وهو يقول إن ماكلينتوغ سيستقيل.. ويظن أن رئيس الوزراء سيدعو إلى انتخابات فرعية لملء المنصب هذا الربيع.. ويبدو لي أن هذه فرصتك.. أنا..

قاطعه ستان:

ـ سمعت بأمر المقعد الذي سيشغر أبي.. أنا ومايكل في رأس القائمة، وسنخوض المعركة معاً.. لكن ما زال كل شيء قيد التخطيط.

سأله والده: «حسناً، ما هي الخطط التي وضعتها حتى الآن؟ ألم تقابل جوردن حتى الآن؟ يجب أن تكسبه إلى جانبك ليدعمك».

اشتد ضغط شفتا ستان:

ـ نحن بحاجة إلى عدة خطط، ولكن الأمر الأساسي الذي نحتاجه الآن هو أن يكون لي شهرة أوسع.

ـ شهرة أوسع؟ هراء، كل ما تحتاجه هو دعم أشخاص مناسبين مثل جوردن. أتريد مني أن أدعوه إلى المنزل؟ ربما في نهاية الأسبوع؟

ـ لا يا أبي.. لا أستطيع.. لا أظنني أريد دعم جوردن. فأنا وهو على طرفي نقيض في التصور السياسي، وأعرف أنه للحصول على دعمه، سأضطر لموافقته الرأي على أمور لا يمكن أن أوافق عليها.. لكن لا تقلق فلست بدون دعم.. الآن ما سنركز عليه هو الحصول على

بعض الشعبية.

سخر منه والده: «شعبية!»

ثم انطلق يشرح القدرة السياسية التي يمتلكها السيد جوردن، وأصغى ابنه لكلامه بعدم اكتراث، يعرف أن أباه يحاول مساعدته ولكنه منزعج لأنه يرفض أن يتقبل واقع قدرة ابنه على اتخاذ قراراته الخاصة بخصوص مستقبله السياسي.. وبخصوص حياته أيضاً.

أردف جوليان اواردز ساخراً:

ـ اعلم أنك بدون دعم الأشخاص المناسبين لن تنتخب... ربما لم أترشح قط لمجلس ولكنني أعرف عما أتحدث. سيتم انتخابك بجلوسك مع رجال في غرف عابقة بالدخان، لا بنشر صورتك في كل وسائل الاعلام.

كان ستان في تلك اللحظة ويا للسخرية، ينظر إلى صورة إعلانية من مجلة، ولم تكن لسياسي، بل للمغنية أوما پايروت. يا لها من طفلة جميلة! صحيح أنها الآن غير قبيحة ولكنها لم تعد تمتلك تلك النظرة الفرحة التي جعلت من المراهقة امرأة ملفتة للنظر.. فهل هو العمر فقط الذي سلبها جمالها؟

أردف والده:

ـ حسناً.. أنت توافقني الرأي إذن؟ أستلتقي جوردن؟

ـ لا.. يجب أن أثق بهاتفي الداخلي.. أنا آسف أبي.. لكن هكذا سيكون الأمر. الآن من الأفضل أن أتركك.. بلّغ تحيتي إلى أمي.. وداعاً.

وأقفل السماعة قبل أن يتمكن والده من تأخيره أكثر.

بقي ستان عدة دقائق يدرس الصورة.. إن والده يسخر من قيمة الإعلان في حملة سياسية، لكنه يعرف أكثر منه.. فلن يتمكن من إيصال أفكاره إلى الناس إن لم يجذب اهتمام الناخبين إليه.. وليس

الرجال في الغرف الخلفية العابقة بالدخان من يستطيعون الحصول له على مثل هذا الاهتمام.. ربما ستكون هذه فرصة حتى يظهر لأبيه أن المسألة بحاجة إلى وسائل أخرى.

رمت أوما القلم على الطاولة، ثم مددت ذراعيها فوق رأسها لتريح عضلاتها المتشنجة. إنها تحب إدارة محل الزهور، والتعامل مع الزبائن والممولين، والعمل في ترتيب الزهور. ولكن الهم الوحيد أمامها كان المحاسبة. فهي عدا عن عدم قدرتها على الحساب لا تستريح أبداً إلى المطالبة بدفعات الحسابات المستحقة. إنها تقدم الزهور لزبائن أثرياء، ومع أن المرء قد لا يظن أن هذه مشكلة.. لكنها تزيد الأمر سوءاً. ولقد بدأت تظن أن سبب امتلاك زبائنها لكثير من المال، هو عدم تسديدهم ثمن ما يطلبون!

فيما كانت تدعك صدغها تمنت لو أنها لم تخسر ستان اواردز كزبون.. ليس لأنه يطلب الكثير من الزهور بل لأنه يسدّد ثمنها حقاً! الورود، الأوركاديا، كانت تتسارع إلى خارج المحل هدايا لصديقاته.. وما أشد ما كانت حمقاء عندما أغضبته. وأسوأ ما في الأمر أن فرصتها لإصلاح الأمر معه أقل من فرصتها مع داريا، خاصة بعد مرور أسبوع تجاهلتها فيه الفتاة بكبرياء.

ولحسن الحظ قبل أن يأخذها الحزن على فقدان صديقتها، دخلت مساعدتها آريل إلى المكتب.

ـ هناك شخص يريد رؤيتك.

نظرت إلى مساعدتها وقالت وهي ترجع كرسيها إلى الوراء مسرورة بالمقاطعة: قادمة.

رسمت ابتسامة على شفتيها سرعان ما خبت عندما رأت الزائر.. ماذا يفعل ستان اواردز هنا؟

سألته: «أتريد محادثتي؟»

لملمت شجاعتها ما إن اقتربت منه، ورفعت نظرها إليه.. عن قرب كان جميل المظهر بشكل مدمر.. قسمات وجهه رائعة التكوين وأرستقراطية. كانت العينان الزرقاوان الصافيتان مذهلتين أمام وجهه الملوح بأشعة الشمس.. وكان على وجهه رجولة لم تلتقطها أي من الصور التي رأتها له في الصحف.. ومع أنها كانت تدرك أنه وسيم، إلا أنها ولسبب ما لم تتوقع أن يكون جذاباً إلى هذه الدرجة ويدت ابتسامتها متوترة.

ابتسم لها: «آنسة دوناهو.. أتيت بلا موعد لأدعوك إلى العشاء هذا المساء».

عندما اتسعت ابتسامته لتصبح ضحكة، أدركت أنها تحدق إليه مشدوهة. أسرعت تطبق شفتيها، ولكنها لم تستطع إخفاء الارتباك عن قسماتها.. ثم قالت أول ما بدر إلى ذهنها: لماذا؟

ضحك برقة فأثرت ضحكته الخافتة على نبضات أوما:

ـ بكل تأكيد لست بحاجة لمن يقول لك كم أنت جذابة، أليس كذلك؟ لم أتوقع منك أن تطلبي الاطراء.

قال هذا بعينين يبدو فيهما الإعجاب المفضوح، فتورد وجهها بعمق. وتساءلت لماذا رجل له الكثير من المعجبات مثل ستان اواردز يستخدم فتنته الكبيرة عليها؟

تعمدت تصنّع جوّ من الاعتزاز بالنفس، وتراجعت قليلاً عنه قبل أن تقول:

ـ لا أصدق أن هذا هو سبب الدعوة.

قال: «حسناً، ليس تماماً. أردت التعويض عن تصرفي معك ذلك اليوم.. لأنني كنت فظاً معك، وكنت آمل أن أقدم اعتذاري عبر دعوتك للعشاء».

تمتمت بارتباك:

ـ لكـ.. لكن.. ولكنني أفسدت ملابسك.

ـ واعتذرت برقة كبيرة عما حصل.. ولم أكن لطيفاً معك.. أنا خجل حقاً من نفسي وآمل أن تتغاضي عن تصرفي الفظ.. أرجوك! ألن تقبلي دعوتي ليتسنى لي إظهار عدم تصرفي بطريقة فظة دائماً؟

كانت لهجته صادقة دافئة، ولكن أوما حدقت إلى عينيه قلقة.. لقد استاءت من الطريقة التي صدها بها عند محاولاتها الاعتذار بعد الحادثة.. ولكنها لم تكن لتحلم أنه سيخجل من تصرفه.

وهي قلقة بفضول، افترضت أن أسوأ ما قد يحدث لها أن يكون شخصاً مضجراً أو ساذجاً أو أن تنام طوال الأمسية.. ابتسمت فجأة متذكرة أنها لن تضطر إلى العمل على الحسابات هذه الليلة.. وقالت تقبل دعوته بأدب:

ـ سأكون سعيدة بقبول دعوتك سيد اواردز.

رد برقة:

ـ أرجوك نادني ستان.. سأمر لاصطحابك من شقتك حوالي الساعة الثامنة.

ونظر إلى عمق عينيها، ثم رفع يدها يلثمها قبل أن يخرج.

حدقت ببلاهة إلى باب المحل الذي أقفله خلفه.. ثم نظرت إلى يدها وبالتحديد إلى الموضع الذي لثمها فيه فتقبيل يدها لم يكن يوماً هكذا.. مبتذلاً بشكل لا يصدق.. وتمنت لو أنها لم تضحك له بدل أن تنظر إليه مشدوهة وكأنها مراهقة.. يعرف بكل تأكيد كيف يفقد الفتاة توازنها.. وتساءلت عما إذا كانت قد أخطأت بقبولها الخروج معه.. فركت يدها بتنورتها عابسة قلقة فجأة من ستان اواردز.

وهي تعود إلى مكتبها، تجنبت نظرة آريل الفضولية فهي لا تريد مناقشة أمر زائرها معها. إنها بحاجة إلى التفكير لأنه لم يسألها عن عنوان شقتها.. وهي تفكر في الأمر الآن، لقد دعاها بدوناهو ولم

يستخدم اسمها الفني بايروت.. الواضح أنه استعلم عنها جيداً قبل أن يطلب موعداً منها.. ولكن لماذا؟

* * *

٢ ـ عينان تخفيان أسراراً

لاحظت أوما نظرات الاستغراب التي لاحقتهما وهما يتبعان الخدم إلى مائدتهما الواقعة قرب النافذة، كما لاحظت أن أنظار النساء الأخريات تحسدها وهن ينظرن إلى مرافقها. . نظرت إلى وجه ستان اواردز، وفكرت في نفسها أنّ من حقهن هذا. . ومع علمها أنها كانت حمقاء لوقوعها في حبائل مهاراته المحترفة، إلا أنها لم تستطع إلا أن تتأثر به.

وصل إلى بابها في تمام الثامنة، أخذها إلى مطعم لاحتساء كوكتيل قبل العشاء. . وعلى ارتفاع أربعين طابقاً فوق الشارع، كان المطعم يطل على المدينة من كل الجهات، مع أن أوما لم تلاحظ المنظر كثيراً، لأنها كانت متأثرة بمرافقها. . استطاع ستان اواردز أن يبدي شهامة تُشعر المرأة بالعناية والحماية. وأمام سحر جاذبيته وثرائه لم تستغرب أن تجده لا يقاوم.

ما إن غادرا المطعم إلى مطعم فاخر آخر في فندق فانكوفر حتى كانت أوما في حالة دوار وذهول. . تحفظها المعتاد تجاه الرجال بدا وكأنه تركها، وكانت عازمة النية على الاستمتاع بموعدها هذا مع ستان بأفضل طريقة ممكنة. لقد سئمت من الصداقات الفاترة التي لا تلمس مشاعرها أبداً. . كما أن ستان رجل مثير للاهتمام.

حين وصلا إلى المائدة المخصصة لهما، أمسك ستان كرسيها ليتأكد من جلوسها براحة ثم جلس. أرسل لها ابتسامة دافئة عبر الطاولة قبل أن يتناول لائحة المقبلات من الساقي. بعدما قدَّم طلباته وجَّه

اهتمامه إلى لائحة العشاء مقترحاً بين الحين والآخر على أوما اختياره.

وصلت المقبلات والمرطبات، ثم سجّلت طلبات العشاء، قبل أن يبتعد آخر السقاة عن طاولتهما. أخذ سنان رشفة من عصيره.. وحذت حذوه قبل أن تسأله:

ـ هل سبق أن تناولت العشاء هنا؟

أطرق برأسه مجيباً:

ـ إنهم عادة يقدمون طعاماً شهياً، والخدمة ممتازة.

نظرت أوما إلى ما حولها فوجدت ساقياً ينظر إليهما نظرة صياد، وتمتمت وهي تضحك برقة:

ـ إنهم يشعرونك بالذنب إن لم تعطهم ما يفعلونه.

ـ يسرني أنك لا تدخنين.. إنها عادة لا أجدها جيدة.. ولكنك لا تبدين لي شخصاً فيه عيوب.

ارتشفت من كوب العصير لتخفي حرجها.. وبدا أنه يتوقع منها رداً.. وقالت أخيراً:

ـ شكراً للإطراء. ولكنني أؤكد لك أنني من البشر.. لدي هفواتي كأي شخص كان.

مد يده عبر الشمعتين على الطاولة وأخذ يدها، وبدت خطوط التسلية على لحاظ عينيه وهو يضحك لها:

ـ وماذا تخبئين؟ لك عينان جميلتان.. أجمل من أن تخفيا أسراراً قاتمة.

عاد الساقي في تلك اللحظة بمزيد من المقبلات، فترك يدها وسمح للساقي أن يضع الأطباق أمامهما.. أسرار قاتمة..! لماذا استخدم هذا التعبير؟ ففي ماضيها الكثير من الأسرار القاتمة.. أسرار لن تتمكن أبداً من بوحها لأحد.

أخذت تتذوق طبقاً من المقبلات، مع أن فكرة الطعام كانت في

تلك اللحظة بعيدة عنها.. فقد تلاشى سحر الأمسية، ولم تعد تعرف كيف تستعيده.. ودون أن ينتبه لتحفظها، قال ستان:

ـ أرجو أن تكوني قد غفرت لي تصرفي معك في ذلك اليوم.. فلم أكن أقصد أن أكون بليد الذهن حين فشلت في التعرف إلى اسم أوما بايروت.

تجمدت يدها التي تحمل شوكة مليئة بالطعام متجهة إلى فمها.. ما أغباها! كانت تفكر طوال الوقت في سبب دعوته هذه.. ولم يخطر ببالها أن تفكر في السبب الواضح كالشمس.

أجبرت نفسها على رفع رأسها مبتسمة.. لسوء حظ ستان اواردز أنه سيصاب بخيبة أمل، فآخر ما يمكنها أن تفعله هو الحديث عن أوما بايروت.

ـ لم يكن هذا متوقعاً منك، فلا شيء يتطلب السماح. أرجوك.. فلننس الأمر..

أعادت اهتمامها إلى طبقها:

ـ هذا لذيذ حقاً.. وأنا مسرورة لأنك زكيته لي.

تحوّل طعم السلمون في فمها إلى طعم الكرتون.

ـ وأنا مسرور باستمتاعك به.. ولكنني آسف فعلاً على الطريقة التي تصرفت بها عصر ذلك اليوم، أؤكد لك أنني لست عادة صعب المراس.

دفعت طبقها جانباً:

ـ ليس الأمر بهذه الأهمية ستان.. إضافة إلى أنني لم أكن لطيفة كذلك.. أرجو أن تكون الزهور قد أعجبت من قدمتها إليها.

ـ نعم أعجبت بها كثيراً.. كانت لسكرتيرتي.. هدية بمناسبة عيد مولدها. وصدف أن ذكرتك أمامها فتبين لي أنها من كبار المعجبين بك، في اليوم التالي حملت إليّ دفتر ملاحظات فيه قصاصات من

الصحف والمجلات تتحدث عنك وعن مهنتك.. كانت حياتك مثيرة وأستغرب تخليك عنها.. أعتقد أنك رفضت الاستمرار وحدك بعد وفاة شقيقك.

ـ هذا صحيح.

كيف يمكن أن تتابع الحديث دون أن تكون فظة.

ـ لا شك أن موت شقيقك كان ضربة موجعة خاصة وقد فقدت أبويك قبل بضع سنوات.

صمت مرة أخرى بانتظار أن تتكلم.. لكن ماذا عساها تقول؟

ـ كان والدك قسيساً؟ لم يكن من السهل عليك التكيف مع حياة لاس فيغاس الغنية وأنت متحدرة من هذه العائلة المحافظة، ولقد أحسنتما أنت وأخوك التعامل مع الحياة الجديدة.. فالكثير من الشبان عرضة للفساد في مثل هذه البيئة الفاسدة. مع أنني أعتقد أن أبويكما أحسنا تربيتكما وزرعا في نفسيكما الروادع التي حصنتكما من الوقوع في ما لا تحمد عقباه.

ارتشفت أوما قليلاً من شرابها، فوجدت صعوبة في الابتلاع وقاومت اندفاعاً إلى الضحك.. ليته يعرف! لو حذت حذو أمها لوجدت أنه من السهل جداً التكيف مع حياة لاس فيغاس.. لقد تمكن نود مانسون مديرهما من تلفيق قصة حياتهما الزائفة، وهي مذهولة لأنهما لم يُفضحا حتى الآن.

لا أحد أشد خبرة من نود بالخداع، فهو يصلح أن يكون ضابط تمويه متفوق في الجيش.. عضت أوما شفتها، فهي لا تحب التفكير في نود وفي الأسرار التي كتمها. كيف تمكن هو ولاري من إخفاء شيء كهذا عنها؟ إنها تفهم مبررات نود.. فمساعدة باول كانت تتطلب الرعاية، وما كان باستطاعته أن يفعل شيئاً يعرض حياتهما العملية للخطر.. لكن لاري كان صديقهما!

للحظة رعب تذكرت صورة أخيها باول كما رأته آخر مرة، قسماته جمّدها الموت وجسده ممدد على المقعد الأمامي لسيارته.. أغمضت عينيها بسرعة تضغط يدها على جبهتها، وكأنما تريد أن تدفع تلك الصورة بعيداً عن تفكيرها إلى الأبد. لن تفكر أبداً في الثنائي پايروت، ولا في باول، ولا في ما حدث.

أردف ستان بإصرار:

ـ أخبريني أوما.. كيف هو الإحساس عندما يكون المرء مغنياً ناجحاً؟

اخترق سؤاله أفكارها.. فجأة أحست بغضب شديد، فرفعت رأسها، ونظرت إليه بوجه جهم، ولكنه أضاف:

ـ أتصور أن حياتك كانت مختلفة كل الاختلاف.

ردت باختصار: «هذا صحيح».

ـ ألا تشتاقين إليها؟

ـ لا.. أبداً.

ركزت بصرها على نقطة ما خلف كتفه.. هل اشتاقت إليها؟ لم تكن تعرف الرد الحقيقي. أحياناً كانت تتذكر اندفاع «الادرينالين» إلى شرايينها، حين كانت تخطو إلى المسرح.. والإحساس المثير بأنها محلقة في الهواء، الذي كانت تشعر به عندما يتعالى التصفيق والاستحسان من الجماهير. أما الغناء فهو جزء صغير من كونها أوما پايروت، أما ما تبقى.. فلن تعود إليه، وما إن وصلت إلى هذه الفكرة حتى وجدت نفسها تشد يديها في حجرها.

التقت بعيني ستان على مضض وكانت عيناها باردتين. قالت باقتضاب حاد:

ـ ليس لدي ما أضيفه إلى ما قرأت في مقالات الصحف.

كسر الصمت المتوتر الذي تلا قولها وصول الساقي الذي أزال

الأطباق المستخدمة. في هذه الأثناء كانت أوما تتلاعب بمنديلها بتوتر.. أخيراً عندما أصبح الصمت الطويل مزعجاً جداً، بدأت الجوقة الموسيقية بعزف أنغام لاتينية صاخبة، وسألت أوما بائسة:

ـ أتظن أن بإمكاننا الرقص على هذه الأنغام؟

عبس ستان قليلاً، لكن حسن الأخلاق فرض عليه الموافقة فوضع منديله، ووقف ليرافقها إلى باحة الرقص. فيما كان يراقصها على خطوات «الرومبا»، نظرت إليه وابتسمت بتردد، لكنه لم يكن ينظر إليها.. شعرت بالذنب لأنها أساءت التصرف، إلا أنها لم تجد وسيلة أخرى لإيقاف تطفله.

ما إن عادا إلى مائدتهما حتى وصل الساقي من حسن الحظ يجرّ عربة عليها أطعمة فتوقفا عن الحديث.. حضّر الساقي السلطة بإيماءات مبالغ فيها، ثم قدمها بحركات مسرحية. وما إن ابتعد الرجل حتى ضحك ستان بصوت منخفض:

ـ الواقع أنني لا أحب هذه السلطة.. ولكنني أطلبها دائماً لأشاهده وهو يمثّل روتينه المعتاد.

نظرت إليه بسرعة، فرأت ابتسامته الدافئة الجذابة قد عادت إلى وجهه.. إذن، لقد غفر لها رفضها الكلام عن ماضيها.. وأضاءت عيناها بالسعادة وهما تلتقيان بعينيه، والتهمت السلطة بشهية غامرة.

فيما كان يرتشفان القهوة بعد العشاء لم تستطع أوما أن تتذكر متى استمتعت بأمسياتها كما الآن.. صحيح أن الأمسية بدأت بداية سيئة ولكنها كانت أمسية جميلة بعثت البهجة إلى قلبها.. كان لستان شخصية مذهلة فهو مثقف وضليع في كافة الأمور. ومع أن ثقافة أوما كانت قليلة، إلا أنه لم يحاول أن يشعرها بأنها أقل منه شأناً.

لفترة ما ناقشا طموحه السياسي، وبدأت أوما تعلق بحماس.. فهو يخطط للانتقال إلى مرحلة السياسة الوطنية العامة في القريب

العاجل.. وبينما كان يناقش أفكاره وجدت أن انجذابها إليها يتعاظم.. فمع أنه يملك رأياً محدداً في كافة المسائل، لم يكن من المتعصبين لأفكارهم وكان يصغي بصدق واهتمام إلى ملاحظاتها.

أنهيا القهوة.. وبينما كان يرافقها إلى خارج المطعم، شدها فجأة إلى طاولة قرب المدخل.

ـ مايكل.. آبي! لم ألحظكما من قبل.. كان بالإمكان أن تنضما إلينا لتناول القهوة.

وقف الرجل مبتسماً وقال، وعيناه تومضان وهو يرى تورد وجه أوما:

ـ فكرنا في هذا.. لكنكما لم تبدوا كشخصين يرحبان بصحبة أحد.

ضحك ستان: «يا للمراعاة!»

دس ذراعه حول خصر أوما مبتسماً لها:

ـ أوما.. أود أن تلتقي بصديقي اللبق مايكل كوبر.. وهذه شقيقته آبي.. مايكل، آبي، هذه أوما بايروت.

انتفضت أوما، وأحست بذراعه تشتد حولها.. لماذا لم يخطر ببالها أنه سيقدمها باسم بايروت لا باسم دوناهو؟ مد مايكل يده يصافح يدها، ولزمها لحظة لتجمع شتات نفسها وتقدم له يدها، متمنية ألا يلاحظ الارتعاش الذي لم تستطع السيطرة عليه.

كرر مايكل اسمها: «أوما بايروت.. إنها لسعادة لي. ظننت أن وجهك مألوف.. لقد شاهدتك وأخيك تقدمان برنامجكما منذ سنوات عدة.. ما رأيكما بالانضمام إلينا للقهوة؟ لقد احتفظت بهذه السيدة الجميلة لنفسك بما فيه الكفاية».

كررت الشقيقة الدعوة، ونظر ستان إلى أوما متسائلاً، فنظرت إلى ساعتها متعمدة. إنها لا تريد تكرار الحديث السابق ذاته مع مايكل:

ـ أنا آسفة.. هلا أرجأنا الأمر إلى وقت آخر؟

رددت لنفسها: بعد مئتي سنة من الآن.

هز مايكل كتفيه بأسف: «سألزمك بوعدك».

ونظر إلى ستان: «هل ستنضم أوما إلى حفلتك؟»

ـ لم أسألها حتى الآن ولكنني آمل هذا.

ـ عظيم، سأعتني بها جيداً وأنت تلقي خطابك.. هكذا لن تضجر.

غمز أوما، لكنها لم تلاحظ.. حفلة.. خطاب.. لا بد من وجود مراسلين صحفيين وعلى الرغم من أنّ ستان يرافقها سيكون وجودها من أبرز الأخبار..

سألت: «متى الحفلة؟»

ـ في الأسبوع المقبل.. يوم السبت.

حاولت أن تبدي أسفها.

ـ أخشى ألا أستطيع الحضور.. أملك محلاً لبيع الأزهار والواقع أنني متعاقدة مع عائلة تريد الأزهار لحفلة زفاف، لذا يجب أن أعمل ذلك المساء.. ربما في وقت آخر.

سألها ستان: «أليس بإمكان مساعدتك أن تحل محلك؟»

ردت: «لم يمض على وجودها معي وقت طويل، وليس لديها الخبرة لتتولى مثل هذه الأمور.. أنا آسفة».

ران صمت قصير، قطعه ستان بقوله:

ـ أفهم.. حسناً.. إن كنا ستتمشى، فمن الأفضل أن تتحرك الآن. أراك فيما بعد مايكل، آبي.. وداعاً.

وضع يده تحت مرفقها، ورافقها إلى الخارج ومع أنه قبل عذرها إلاّ أنه كان على وجهه شيء من الريبة.

سألته أوما وقد وصلا أمام باب شقتها.

ـ أترغب بالدخول لشرب شيء ما؟

ـ من الأفضل ألا أدخل. لدي موعد في الصباح الباكر.

وجدت المفتاح، فأخذه ستان منها يفتح بابها، ووقفت مترددة:

ـ حسن جداً.. شكراً لك على هذه الأمسية الجميلة.

رفعت نظرها إليه وقد جف حلقها.. لقد انتظرت هذه اللحظة ساعات حين توقعت أن يعانقها.. ويبدو أنه لن يفعل.. غمرتها خيبة الأمل فارتدت على عقبيها بسرعة لئلا يقرأ شيئاً في تعابير وجهها.. دخلت الشقة قائلة:

ـ عمت مساء، ستان.

أدارها نحوه مجدداً، وقال بصوت هامس:

ـ أوما.. هل تظنين أنني أتركك بلا وداع؟

بدأت نبضاتها تتسارع، كان عناقه دافئاً وعاصفاً وكبحت بصعوبة تامة الاندفاع بأن تذوب بين ذراعيه..

ببطء، وكأنما على مضض أبعدها عنه، وقال بصوت هامس:

ـ الأفضل أن أذهب. عمت مساء أوما.

وارتدّ على عقبيه بسرعة مبتعداً.

كانت تتساءل أحياناً عما إذا كانت باردة عاطفياً، فهي عادة تتردد كثيراً في ردة فعلها لتحرشات الرجال بها، ولم تتصور قط أنها ترغب في دفع أية علاقة إلى الأمام.. ولكنها مع ستان لم تشأ أن يتوقف وهذا ما أقلقها.

ناداها حالما وصل إلى آخر الممر: سأتصل بك.

ثم اختفى عند الزاوية.

قبل أن تدخل إلى الفراش جلست إلى طاولة الزينة أمام المرآة، وراحت تمشط شعرها الطويل البني الأحمر، كشرت في وجه صورتها في المرآة.. عندما حررت شعرها من عقدته تورد وجهها قليلاً، وتذكرت كيف كانت تبدو وهي مغنية.. إن ما طرحه من أسئلة عن تلك

الأيام كانت الشائبة الوحيدة في سهرة رائعة، وتمنت أن تكون فظاظتها نجحت بإقناعه أنها لن تناقش ماضيها..

وقفت فجأة تنظر إلى السرير بتردد. تعرف أنها وهي في هذه الحالة من التفكير لن تجد الراحة في سريرها هذه الليلة، دخلت غرفة الاستقبال واتجهت إلى مكتبتها وفتحت الدرج السفلي، وأخرجت ألبوم اسطوانات موسيقية طويلة.. كان لديها مجموعة من التسجيلات في صندوق قرب جهاز الستيريو.. لكن هذا الألبوم، لم يكن جزءاً من تلك المجموعة.

وقفت لعدة دقائق تنظر إلى غلاف الألبوم. فرأت صورتها وشقيقها على الغلاف، لكنها ركزت النظر على وجه شقيقها.. كان شاباً وسيماً.. تأملت شعره الأسود المتموج وابتسمت، تتذكر كيف كان يلعنه لأنه لم يكن يستطيع منع غرته من الانسدال على جبهته كلما تحرك.. ثبتت عينيها على العينين الزرقاوين في الصورة، وعلى الابتسامة الملتوية التي أحبتها كل المعجبات.. على أنفه نمش وبشرته مشرقة.

عضت شفتها وعبست.. لقد التقطت هذه الصورة قبل أسابيع على موته.. ولم يكن يبدو عليه أبداً أنه مدمن مخدرات.. لكنها لم تستطع تكذيب الأدلة، فمنذ موته وهي تعيش مع معرفتها بإدمان أخيها!

تقدمت إلى جهاز الستيريو وشغّلته.. عندما صدحت أولى النغمات استقرت على الأريكة، تغمض عينيها.. نادراً ما تسمح لنفسها بالتفكير في الماضي، لكن الذكريات الليلة كانت تتجمع، وترفض الانصراف.. ما أشدّ ما كانت حياتها مثيرة في البداية! ما زالت تذكر التقدير العظيم والمجد اللذين نالاه.. والتكهنات بأن الأخوين بايروت سيرتفعان عالياً في سماء الفن.. كان الأخوان بايروت شيئاً جديداً في عالم رديء من مراكز القمار. كانا على المسرح وخارجه

نظيفين.. زوج يعيش على القيم القديمة وعلى الأخلاق التقليدية.

كانت تظن أن المجد والسحر لن يزولا.. وأنهما بعد كفاح الطفولة سيجدان الجنة.. ولكنها لم تكتشف إلا بعد موت أخيها أن جنتهما كانت وهماً مثل الطفولة التي ابتدعها لهما تود ماتسون.

ذلك اليوم، عندما لم يظهر باول في تمارينهما الصباحية شعرت بأن هناك خطباً ما. إذ كيف يتأخر وهو يعلم أنهما على وشك افتتاح موسمهما الغنائي الجديد. غضبت أوما وخرجت كالعاصفة من قاعة التمرين، وقادت سيارتها إلى شقته لكن لاري مايبوري، مرافقه وصديقه، قال لها إنه لم يرجع إلى الشقة منذ الأمس، وإنه عاد لتوه من جولة كان فيها يبحث عنه.

سرعان ما تلاشى غضبها في فورة قلق.. منذ بضعة أشهر، اشترى باول سيارة بورش توربو فائقة السرعة، وكان يأخذها باستمرار ليقودها في الصحراء عند الفجر، وهي الآن لا ترى السيارة في مكانها المعهود.

أصرت على الاتصال بمدير أعمالهما تود ماتسون، فلقد تولى أمر عملهما منذ البداية. حين وصل تود إلى شقة باول طلب منها العودة إلى تمارينها، وقال إنه سيذهب هو ولاري إلى صحراء نيڤادا للبحث عنه. تذكرت أنها أرادت أن تتصل بالمستشفيات وبالشرطة ولكن تود رفض.. قائلاً إنه لا يمكنهم تحمل أية دعاية مضادة حتى يعرفوا ما الذي حدث. وبشكل عجيب وقف لاري إلى جانب تود.. ومع كل هذا رفضت العودة إلى تمارينها، وأصرت على مرافقتهما.

وبشكل عجيب مرة أخرى، لم يتأخروا بإيجاده.. فيما بعد، تساءلت أوما عما إذا كان تود يعرف أين يبحث عنه.. عندما شاهدت جسد أخيها ممدداً على المقعد الأمامي لسيارته.. لم تتقبل ما حدث.. جرعة هيروين مبالغ فيها.. لا ليس هذا صحيحاً! ما أخوها يمدمن مخدرات.. إنه لا يتناول المخدرات فكيف يبالغ بتجرعها.. لا

يمكن هذا!

حتى حين أراها تود أدوات الإدمان في جيب باول لم ترد أن تصدق.. لكن عندما اعترف أنه ولاري يعرفان منذ أشهر أنه يتعاطى المخدرات استوعبت الحقيقة.. فقد يكذب تود في مثل هذه الأمور لأسباب خاصة، لكنها تعرف أن لاري شخص ثقة يقول الحقيقة.. مع ذلك، لم تستطع مسامحتهما لإخفائهما الأمر عنها حتى فات الأوان وفقدت أخاها.

حين أشارت تكتكات الستيريو إلى انتهاء الأسطوانة، كانت وجنتاها غارقتين بالدموع، مسحت عينيها بظاهر يدها ثم وقفت وأعادت الألبوم إلى الدرج. ليتها عرفت بإدمانه فلو عرفت لتمكنت ربما من منعه من تدمير نفسه.. لقد وافقت على القصة التي اختلقوها للتغطية على سبب موته ليبدو الأمر أنه حادث سيارة حتى تبقى صورته نقية، ولكنها عرفت أن مستقبل الثنائي پايروت انتهى.. فثمن النجاح كان مرتفعاً جداً.

* * *

٣ ـ العمل قبل الحب أحياناً

في الصباح التالي جلست أوما في مكتبها، تنظر حالمة إلى باب الغرفة. حساباتها المدونة في دفاترها بحاجة إلى تعديل الفوضى التي حلت بها.. لكن من المريح أكثر أن تجلس وتفكر في ليلة أمس وفي ستان. قال إنه سيتصل.. لكنها كانت متفائلة بأنه سيزورها. يقع مكتبه في المبنى نفسه، ولن ينزعج من زيارتها.

تنهدت والتقطت قلمها.. ضرائب المبيعات.. من يريد أن يهتم بضرائب المبيعات؟ مع ذلك بدأت العمل، وسرعان ما انغمست ضائعة في إشكالات مربكة، وحسابات، لم تترك لها مجالاً لأفكار أخرى.

عندما رن جرس الهاتف، مدت أوما يدها وهي شاردة الذهن: سبعة في المائة من.. وحاولت التشبث بالفكرة وهي ترد آلياً.

ـ أزهار دوغوود.

تناهى إلى أذنها صوت ستان الأجش، فتطايرت الأرقام من رأسها.

ـ صباح الخير أوما.. هل أنت مشغولة؟

قالت كاذبة: لا.

ـ عظيم، فأنا لم أرغب في مقاطعتك عن عملك.

ـ لم أكن أعمل شيئاً مهماً.

ـ كنت أتساءل إن كنت حرة غداً مساءً؟

ردت بحذر:

ـ حسناً.. لست واثقة كل الثقة.. لماذا السؤال؟

www.liilas.com

ـ هناك حفلة موسيقية في مركز مسرح الإذاعة.. ولشركة أبي مقصورة هناك.. فتصورت أنك قد تتمتعين بحضور الحفلة.

ـ أوه.. هكذا إذن..

إنه عرض مغري.. ستقدم فرقة الماونتي عرضاً على ظهور الجياد ترافقه الموسيقى.. كانت قد شاهدت مقاعد المقصورات في الستاديوم على شاشة التلفاز في يوم افتتاحه. وعلمت أنها كالأجنحة الفخمة، أكثر مما هي مقاعد في مسرح، وعرفت أيضاً أن هذه المقصورات تتسع لدزينة من المشاهدين.

سألها ستان: هل أنت مهتمة؟

أجابت بعد طول تفكير عميق:

ـ تبدو لي دعوة مغرية.. لكن لا أعتقد أنه يمكن الاعتماد عليّ.

ـ ألديك خطط أخرى؟

كان صوته بارداً، عضت أوما شفتها.. فأشارت لدفتر الأستاذ وقالت ضاحكة:

ـ هو ليس بموعد بطريقة ما، بل لقاء ولكن مع رجل الضرائب. يجب أن أجهز ضرائب المبيعات يوم الاثنين، وإن لم أنهها ليلة الغد، فلا أعلم متى أنهيها.

ـ ألا تستطيعين إنهاءها قبل مساء الغد؟

ـ سأعمل بها على الأرجح.. لكني لست بارعة في الحسابات. لذا لست متأكدة من قدرتي على إنهائها غداً.

ـ هكذا إذن.. كنت أظن أن لديك محاسباً يتولى مثل هذه الأمور نيابة عنك.

ـ أنا أعتقد أنه عليّ مراجعة حساباتي بنفسي.

ـ ما دمت تواجهين المتاعب، أفليس من الأفضل استخدام محاسب محترف؟

ـ ليس ضرورياً . . أعني، أنا لا أغش في حساباتي.

ـ كذلك الأمر بالنسبة لغالبية المحاسبين.

ـ لم أقصد القول إنهم ليسوا كذلك. الأمر . . لست أدري . . تعرف ما يقال: لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين.

ـ أوه . . وهل غشك أحدهم؟

ـ ليس فعلياً. لا أحب أن يهتم أحد بشؤون عملي غيري. آسفة بالنسبة لليلة الغد . . لكنني متأكدة أنني مضطرة للعمل غداً.

ساد صمت قصير، ثم قال ستان بصوت بارد:

ـ أفهم . . أنا آسف . . حسبتك ستستمتعين بالعرض.

ردت برقة:

ـ هذا مؤكد . . لكنني سأكون حرة مساء الاثنين . . لقد ساهمت منذ بضعة أسابيع بتزيين مطعم جديد بالأزهار في شارع هايستنغز، أعتقد أنه مكان جيد لتذوق الطعام اليوناني فيه.

تحدثت بسرعة وتوقفت وأخذت نفساً عميقاً . . لا شك أن تحرير المرأة موجود منذ سنوات بعيدة . . ولكنها لم تطلب قطُّ من رجل موعداً. أردفت: «هل تتناول العشاء معي هناك مساء الاثنين؟»

كتمت أنفاسها وهي تنتظر رده . .

ـ أحب هذا.

وتنفست الصعداء.

ـ أوه . . أنا شاكرة لك.

ثم تنحنحت:

ـ أوه . . ليس لدي سيارة، هل تستطيع ملاقاتي إلى هناك؟

ـ لماذا لا تنتظرينني فآخذك من شقتك؟ وأنا سأدفع الفاتورة.

ـ لا يمكنني تركك تفعل هذا . . فأنا . .

ـ لا تجادلي . . وإلا لن آتي.

ـ أوه . . في هذه الحالة . .

ـ عظيم . . في السابعة إذن في شقتك؟

ـ سأراك عندئذ.

كانت تبتسم بعد وقت طويل على إعادة السماعة إلى مكانها.

علق ستان بعدما تركهما الساقي ليحضر طلباتهما:

ـ تبدين جميلة الليلة أوما.

ابتسمت ابتسامة دافئة: «أشكرك».

برقت عيناها على ضوء الشموع . . إنها تشعر بسعادة لم تشعر بها من قبل. خرجت مع ستان أكثر من مرة في الشهر المنصرم، وبعد كل لقاء تشعر أنها وقعت أكثر فأكثر تحت وطأة سحره وهو يقنعها بنسيان ارتباكها أمام الناس لرؤيتهما معاً . . كانت شكوكها تتفاقم عندما ترفض التفكير بها.

قال ستان:

ـ أوما . . هناك ما أريد أن أطلبه منك . . سيقيم مايكل كوبر حفلة عشاء صغيرة ليلة الغد . . وأريدك أن ترافقيني.

ـ مساء الغد؟

ـ أجل . . أساساً إنها أمسية اجتماعية . . مع أنني لا أستطيع ضمان أننا لن نتحدث ببعض الأعمال . . بعض ممن سيكون هناك هم من السياسيين النافذين، وسأحاول كسب دعمهم لترشيحي في الانتخابات المقبلة . . وأريدك أن ترافقيني.

كررت سؤالها كسباً للوقت:

ـ ليلة الغد؟ هذا غير مناسب أبداً . . لأني لا أستطيع.

ضاقت عيناه، مع أنها أحست أنه لم يتفاجأ من ردها.

ـ وهل أنت مشغولة؟

ـ لدي أعمال متراكمة في المحل . . هناك الفواتير عليّ إرسالها

بعد الغد، لذا سأضطر للعمل عليها غداً مساءً.

رأت لمحة من نفاد صبر وغضب بادٍ على وجهه، وعلمت بأنه لم يقتنع بجوابها. وكان ستان يزداد توتراً من أعذارها الواهية لرفضها أن تُرى معه في مكان علني. قال بلطف لكن بصوتٍ مبطنٍ بالغضب:

ـ لن تستطيعي مرافقتي أبداً.. أليس كذلك أوما؟

حاولت تجنّب الرد عليه:

ـ لست أعلم قصدك.. لدي عمل أديره، وعليّ أن أهتم به.

ـ اسمعي أوما.. لتتوقف عن التلاعب.. أريد أن أعرف ماذا يجري.

هزت رأسها، تعلم أنه حشرها بالسؤال:

ـ لست أدري عما تتكلم.

ـ بل تعرفين بالضبط ما أقصد.. هذه المرة الثالثة التي أطلب منك فيها مرافقتي إلى مكان يعج بالناس، وفي كل مرة، تخرجين بأعذار واهية.. فلماذا؟

ـ ألم يخطر ببالك أنني قد لا أهتم بالتحدث بالسياسة طوال الوقت؟

ـ هل هذا كل شيء؟ لا أظن هذا.. هناك سبب آخر لا أعرف ما هو، لكنني أريد أن أعلم الآن ماذا تخفين. في الأسبوع الماضي، عندما كنا نتناول العشاء ودخل المراسل الصحافي كيرك وايت مثلاً.. أردت أن آخذك لتتعرفي إليه، فجأة شعرت بصداع عنيف فأعدتك إلى المنزل.

ـ أتقصد أنني لم أصب بصداع؟ وأنني كاذبة؟

ـ وهل كان لديك صداع؟ لدي انطباع بأنك لا تريدين أن يعرف أحد أنك أوما بايروت.

شعرت أوما بأن لونها أصبح شاحباً، وتمنت أن لا يلاحظ ستان

هذا في عتمة المطعم، وقالت بصوت خفيض:

ـ لا تكن سخيفاً ستان.. ما الذي أعطاك هذه الفكرة السخيفة؟

ـ وهل هي سخيفة؟ عندما رأيتك للمرة الأولى لاحظت أنك غضبت من صديقتك عندما أخبرتني من أنت.. ذلك الوقت ظننتك محرجة لأنني دخلت وأنت تغنين.

تمسكت بهذا العذر:

ـ حسناً لقد كنت محرجة.. أعني أن مستقبلي المهني كمغنية انتهى، وليس من الضرورة أن يعرف الجميع ما كنت أعمل لأعيش.

ـ لكن هل هذا كل شيء؟ حين قدمتك إلى مايكل كوبر باسم أوما بايروت، قفزت مجفلة.. ومنذ ذلك الوقت وأنت تحاولين أن لا أقدمك لأحد.. في كل مرة أطلب منك الخروج معي تثيرين في وجهي المتاعب قبل أن توافقي.

ـ اعتقدت أنك فهمت لماذا لا أستطيع تقبل كل دعوة تقدمها لي.. عملي لا يمكن له أن يدير بنفسه، ومن الطبيعي أن أديره بنفسي لذلك تراني مشغولة ولا أستطيع الخروج معك.

تابع هجومه بعناد:

ـ ليس الأمر هكذا فقط.. كلما ذكرت مهنتك السابقة، تصديني.. لقد أخبرتني كل شيء عن عملك، وأصدقائك، لكن لم تخبريني شيئاً عن مهنة الغناء، ولا عما حصل قبلها.. وكأنك خلقت في محل الزهور!

ـ لا أحب نبش الماضي!

ـ لماذا؟

ـ لأنني بائعة أزهار الآن، ولست أوما بايروت المغنية. يبدو أن الناس تظن لأني كنت أعمل في المسرح أن لهم الحق في معرفة كل ما أفعله خارجه.. لكنني لم أعد أعيش تحت الأضواء الآن وأستطيع

المطالبة بحقي في حياتي الخاصة.

مررت يدها على جبهتها قبل أن تنظر إليه، وأكملت:

ـ لقد أحببت أخي، لكنه رحل.. مات.. بالنسبة لي أوما بايروت ماتت معه.. وأنا قانعة بحياتي كما هي الآن، ولا أريد نبش ما حدث منذ خمس سنوات.

لحسن الحظ وصل الساقي مع السلطة، وتراجعا في مقعديهما ليسمحا له بتقديمهما..

بعد دقائق، دفع ستان طبقه بعيداً:

ـ أستطيع أن أتقبل أنك تفضلين عدم مناقشة ماضيك. لكن هذا لا يفسر سبب استمرار رفضك لمقابلة أصدقائي أو مرافقتي إلى أية مناسبة عندما تسنح الفرصة لأن تكون علاقتنا علنية.

تنهدت أوما بتعاسة، تعرف أنها عليها أن تعطيه التفسير المناسب.. أخيراً، قالت:

ـ أنا لم أقبل دعواتك لأنني أعرف أنك ستقدمني باسم أوما بايروت.. فما إن يعلم الناس من أنا، سيرغبون بمعرفة كل شيء عني وعن أخي وعن عملي السابق، وعن حياتي السابقة.. وأنا أفضل تجنب هذا.

ـ هل ذكرياتك عن تلك الحقبة من حياتك مؤلمة جداً؟

ردت بصراحة: أجل إنها كذلك؟

لعدة لحظات تفحصها ستان بصمت.. تلاعبت أوما بأدوات الطعام بتوتر، تتمنى أن يتخلى عن هذا الموضوع.. مد يده وأمسك يدها وهي تتلمس الملعقة:

ـ أوما.. أنظري إلي.. إذا كانت ذكرياتك مؤلمة فالهروب منها لا يخفيها.. لقد تخليت عن عمل ناجح منذ خمس سنوات لكن هذا لم يعد بأخيك إلى الحياة.. رفضك الاعتراف بتلك الحقبة من حياتك لن

تعيده إليكِ وهذا غير منطقي.. لقد آن لك الاعتراف بماضيكِ.. فالتظاهر بأن «بايروت» لم يكن لها وجود، لا يحل شيئاً.

هزت رأسها راضخة للواقع:

ـ أنت لا تفهم.. ولا أستطيع أن أشرح لك.. لكن ماضيّ هو أخي.. من الأفضل أن أنساه.

قال بإصرار:

ـ لا.. ليس أفضل.. أنا أحاول مساعدتك على إعادة حياتك إلى مسارها الصحيح.

ـ أنا سعيدة جداً بنمط حياتي الحالي، ولا أريد إعادتها إلى الطريق الصحيح.

بدا التوتر على وجهه، واشتد ضغطه على شفتيه حتى أصبحتا كخط مستقيم رفيع.. ثم كسر الصمت بقوله:

ـ سأفتح كل أوراقي أمامك.. أنا معجب بك، وأريد الاستمرار في رؤيتك، لكن لديّ الكثير من الالتزامات الاجتماعية في حياتي.. وأحتاج لامرأة إلى جانبي حين أحضر مثل هذه المناسبات الاجتماعية.. وأريدكِ أنتِ أن تكوني تلك المرأة.

بقيت صامتة، مشاعرها مزيج غريب من البؤس والفرح. ستان يريدها إلى جانبه، لكن كيف يمكنها هذا؟ فلو اكتشف تود مانسون أمرها فسيلاحقها ليجبرها على إكمال عقدها معه.. وهذا ما لا تحتمل مواجهته.. ولن يكون هناك تود أو أي عرض فني بعد الآن.. وكما قالت لستان، إن أوما بايروت ماتت.. وبهذه الطريقة لن تضطر إلى مواجهة ألم خيانة من أحبتهم ووثقت بهم.

تفرس ستان بها لعدة لحظات، ثم قال بلطف:

ـ ظننتك تخصينني بمشاعر معينة.. وأننا نقترب من بعضنا البعض أكثر فأكثر منذ أسابيع.

ردّت باسمة:

ـ أنا مغرمة بك ستان.. لكن لو وافقت على مرافقتك حيث تريد، ألا يمكنك تقديمي باسمي أوما دوناهو؟

ـ ألن يكون هذا مجرد هروب من المسألة كما تجنبتها منذ خمس سنوات؟

ـ أنت لا تفهم.

ـ لا.. أنت لا تفهمين.. أنت أوما پايروت.. لقد آن الأوان لتتوقفي عن التظاهر بالعكس.. تقولين إنك مغرمة بي.. ألم تفكري يوماً أنك تستطيعين مساعدتي؟

ـ ماذا تعني؟

تردد ستان قائلاً:

ـ لا زال اسم أوما پايروت في ذاكرة سكان هذه البلدة.. وستكون دعاية جيدة لمستقبلي السياسي بمعرفة الجميع أنني أخرج معها.

قالت ببطء: أنا.. فهمت.

وتمنت لو لم تفهم.. أحست بخفقات قلبها تختلج في صدرها وكلماته تخترق دماغها المتوقف عن العمل. فجأة تحوّل الحديث بينهما إلى اتجاه مختلف تماماً.. لقد مضى زمن طويل لم ترتبط بموعد مع أحد على أنها أوما پايروت، المغنية. كان هذا مع رجال لا تهتم لهم إطلاقاً، ولا تهتم بأهمية ظهورها معهم علناً. لكنها تهتم بستان.. وأحست بالبرودة في أعماقها وهي تدرك أنها بدأت تهتم لأمره. رغم أنه اعترف لتوه أنه لا يراها سوى دعامة مفيدة له.. نظرت إلى كوب شرابها تديره بين أصابعها، وأدركت لماذا كان يصر على مناداتها باسمها الفني.. كل الشكوك التي رفضت مواجهتها تسارعت إلى تفكيرها.. إنها تتعرض إلى الخيانة مرة أخرى.. عن طريق غير مفهومة، عن طريق الرجل الذي أغرمت به وهذا ما آلمها.. مدّ ستان يده عبر الطاولة

ليمسك بأصابعها:

ـ هل فهمت حقاً؟

أبعدت يدها بلطف، تبتسم ببرود لتخفي مشاعرها:

ـ أفهم جيداً.. فأنت لست الرجل الأول الذي يطلب مني الخروج معه لإبراز صورته العامة.

جف حلقها، فارتشفت قليلاً من العصير.

تمتم ستان شيئاً، ثم رفع صوته:

ـ لم أقل هذا.. حاولي أن تفهمي.. مستقبلي السياسي مهم جداً لي.. ولقد استثمرت الكثير من قوتي فيه وممن حولي، من عائلة ومن أصدقاء.. ألا ترغبين في أن تشاركي؟

ـ باسم أوما پايروت؟

رد بثبات:

ـ أجل.. سيفيدك هذا بقدر ما يفيدني، إن كان الماضي مؤلماً لك فعليك مواجهته.

نظرت إليه باهتمام تتفحصه.. جرحها انقلب إلى غضب:

ـ أيها النذل المنافق! لا شك أنك تظنني حمقاء كلياً! أنت لا تكترث لي ولا بإعادة حياتي إلى مسارها الصحيح.. كل ما تريده هو التجارة باسم أوما پايروت.. لكن، لسوء الحظ سيد اوردز، لا أنوي أن أتركك تمضي في هذا الأمر.. فأنا لا أرى أية منفعة من الاستمرار بلقائك.

تصاعد إلى وجهه لون أحمر قرمزي، والتوت عضلات فكه. ورأته مطبقاً شفتيه بانهزام، فتراجعت دون وعي في كرسيها.. فمع كل سحره، لستان نزعة تعجرف لا ريب فيها في تركيبة شخصيته. ولقد تعمدت إهانته، وهو رجل لا يقبل الإهانة بلطف.. لكنه ابتسم فجأة، هذا إذا كان الالتواء القاسي لشفتيه يمكن أن يعد ابتساماً، وسخرت بها

عيناه:

ـ ألا تستطيعين رؤية شيء؟ لدي انطباع أنك تتمتعين بالخروج معي.. ويغزلي.

ابيضّ وجه أوما وكرهته لإثارته الموضوع هذا.. فقد كانت دائماً تعجز عن إخفاء ردة فعلها عند مغازلته لها.. حفرت أظافرها في راحتي يديها وأحست أنها لم تغضب يوماً من نفسها كما غضبت اليوم.. في مكان ما من أعماق دماغها، أدركت أنها كانت تتوقع منه أن يطلبها للزواج منه.. وأنه ينتظر ليلة زفافهما.. كم كانت حمقاء! وكم كانت تخدع نفسها!

نظرت إلى الرجل الجالس في مواجهتها، تلاحظ التعبير المتعجرف في عينيه، الساخر قليلاً، وشحبت أكثر بعد أن صدمتها الحقيقة.. إنها تحبه! قالت لنفسها بذعر إن هذا مجرد تعلق وهمي.. انجذاب مجرد وبسيط.. وتمسكت بهذه الفكرة وهي تأخذ نفساً عميقاً معذباً، لمساعدتها على جمع شتات نفسها.. أخفضت عينيها، وحين رفعتهما، كان وجهها قد استعاد هدوءه.. وقالت بنعومة:

ـ ربما أنا ماهرة في التمثيل مثلك تماماً ستان.. فرجال الحكم في المدينة لديهم نفوذ واسع النطاق.. ومن المفيد جداً أن يكون للمرأة مرافق منهم، إذا أحبت لعملها الازدهار.

وابتسمت له ابتسامة متشددة.. لكنه رد بنعومة:

ـ إذن هناك فائدة ما من لقائك معي.

لاحظت كم تهورت بملاحظتها، فسارعت تقول:

ـ لم تعد هكذا ستان.. لسوء الحظ لم ننجح.. لقد أدركت أنك لن تفيدني كما كنت اعتقدت.

ابتسم برضى:

ـ آه.. لكنني لم أكن أحاول مساعدتك.. وأستطيع هذا الآن.

محل الزهور مهم جداً بالنسبة لك، أليس كذلك؟ أستطيع أن أفعل الكثير لمساعدتك، فكما تقولين لديّ النفوذ. والعديد ممن سأقدمك لهم هم من الزبائن الذين ترغبين بالتعامل معهم.. فهم يشترون الكثير من الزهور.. ومن يعلم، قد تجدين نفسك ناجحة جداً بحيث تفتتحين محلاً آخر، أو توسعين عملك..

ـ لقد تمكنت حتى الآن من تدبر أموري جيداً.. ولا أظن أنني بحاجة إلى مساعدتك.

نظر إليها وضحك:

ـ حبيبتي.. لديك محل صغير جميل، لكنني أشك في أنه يكسب ما يغطي فواتيره في هذه المرحلة.. فلا تقولي لي إنك نسيت إحساسك عندما تتواجدين في الأماكن العامة وارتداء الملابس الفاخرة والأنيقة، والمجوهرات.

ازدادت ابتسامته كياسة وهي تستقر على اللآلىء في عنقها، وأدركت أنه يفترض بأنها مزيفة.. أحست بالتكدر لسبب ما فاللآلىء والجواهر الأخرى التي احتفظت بها من سنوات غنائها، يمكن أن تجمع لها ثروة صغيرة إذا أرادت بيعها.. وهي تبدو مرشحة للفقر.. كما يبدو أنه يلمح.. وتابع بلهجة مختلفة، قبل أن تجد الكلمات للرد عليه:

ـ كنت مشهورة، ولا تستطيعين القول إنك لم تشتاقي للشهرة. في الواقع، قد تقررين مزاولة عملك القديم من جديد متى تغلبت على خوفك من معرفة الناس لشخصيتك.

أزعجها استمراره في سوء الفهم:

ـ أنت مخطىء في هذا.. فأنا لن أعود إلى الغناء كمهنة مجدداً.

ـ أنا لم أقل هذا.. أنا أتمتع بصحبتك وبالخروج معك. لكنك لا تسمحين لي بمرافقتك إلى أي مكان عدا العشاء، ولوحدنا فقط.. لكن

مستقبلي يتطلب أن أنغمس أكثر في حياة اجتماعية أوسع من هذا. وأريد أن تشملك تلك الحياة الاجتماعية، وهذا كل شيء.. في المقابل، سأفعل ما بوسعي لمساعدتك في عملك.

أخذت نفساً عميقاً.. إنه يجعل المسألة تبدو بسيطة ومنطقية. لا يمكنه أن يفهم كم هو صعب طلبه بالنسبة لها، ولا تستطيع أن تقوله له. جلست في صمت تنظر إليه متفحصة. كان وجهه مسترخياً على ضوء الشموع المتراقص، وعيناه فقط تفضحان أمر انتظاره لردها.. مع أنها وجدت مسألة استعادة هويتها القديمة مزعجة إلا أنها كانت مترددة. كانت متأكدة من أنها لو رفضت طلبه لن تراه مرة أخرى.. ولن تتحمل هذا. مع ذلك فهي ستكون غبية بالكامل إن تابعت رؤيته.

لكنها لم تستطع إسكات صوت ضعيف في داخلها أنها لو استمرت معه، فما الضرر في هذا؟ كما أنها لا تعارض فلسفته السياسية.. ولن تكون أول مغنية تعطي الدعم لسياسي. وبما أنها لن تغني، لن يكون لتود ممسك عليها.. وليس محتملاً أن يكتشف أمر علاقتها بستان أحد..

سألها ستان:

ـ أوما.. هل طلبي صعب إلى هذه الدرجة؟ بكل تأكيد، بعد كل هذه السنوات، يمكنك مواجهة بضعة أسئلة حول مهنتك كمغنية؟

وقف يأخذ يدها:

ـ تعالي، ارقصي معي.. سنتكلم فيما بعد.

عندما وصلا إلى باحة الرقص، غمرها بين ذراعيه تدريجياً. فوجدت نفسها تسترخي.. كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً حزيناً، وأراحت رأسها على صدره واسترخت على كتفه.. فجأة أحست أنها ستبكي.

انتهت الموسيقى وأعلنت الفرقة استراحة.. ولحقت أوما بستان

بانقياد إلى طاولتهما، وهي تتمنى أن لا يعاودا حديثهما السابق.. وقال مشتماً بعد جلوسهما:

ـ نحن ننسجم في الرقص جيداً أوما.. ويمكننا النجاح في أشياء كثيرة معاً، فهل ستفعلين ما أطلبه منك؟

ـ سأتركك تقدمني لأصدقائك ستان.. لكن لا تطلب مني الظهور الفني.. لأنني لن أفعل. أتفهم؟

هز رأسه إيجاباً مع ابتسامة مشجعة.. وتساءلت عما ورطت نفسها به.. فهل تظن حقاً أنها ستتغلب على تعلقها به بالاستمرار برؤيته؟ أم أنها ببساطة لا تتحمل التفكير بتركه؟

تظاهرت أنها تتمتع بما تبقى من الأمسية مع ستان.. لكنها أحست بالراحة أكثر عندما تركا المطعم، ورافقها إلى سيارته ليعيدها إلى منزلها.. ولم يتكلم أي منهما خلال رحلة العودة حتى وصلا إلى شقتها.

بعد إطفاء المحرك، استدار في مقعده وكأنه ينوي الخروج.. بسرعة قالت:

ـ لا تزعج نفسك بإيصالي إلى الداخل.

مدت يدها إلى مقبض الباب، لكنها أجفلت حين امتدت ذراعه لتمنعها، فتراجعت منكمشة في مقعدها.

ـ ألن تدعيني إلى القهوة؟

بدأت أعصابها تنتفض، إنه يريد استغلالها، يتاجر باسمها لمساعدته في عمله.. فجأة اشتعل غضبها.. وعرفت أنه يريد أن يدخل معها إلى الشقة وكأن شيئاً لم يحدث! وربما لم يحدث شيء بالنسبة له.. لكن بالنسبة لها.. كانت ذراعه حولها، فأبعدتها عنها بقوة.

ـ لا.. لن أدعوك. لقد اتفقنا الليلة.. ستساعدني في عملي، وسأساعدك في عملك، إنه اتفاق عمل، وتقديم القهوة لك في شقتي

ليس جزءاً منه.

تراجع إلى الخلف في مقعده.. وعيناه تتفرسان بها، وحاولت أوما تهدئة أنفاسها وهو يقول لها بنفاد صبر بارز في صوته:

ـ ظننتك فهمت.. موافقتنا على مساعدة بعضنا لا تعني أننا لم نعد صديقين.

ردت وهي تمد يدها تبحث عن مقبض الباب:

ـ لقد توقفت عن كونك صديقي منذ أن أصريت على أن أكون أوما بايروت، قلت لك إنني سأفعل هذا، لكن لا يعني هذا أنني سأحب أن أفعل، أو سأحبك.

أحست بفمه يشتد متوتراً، وعرفت أنها أغضبته، فجأة أدارها بخشونة لتواجهه.

ـ أنا صديقك، صدقت هذا أم لا.. وأنت أوما بايروت، وآن لأحد أن يوقظك لتواجهي الأمر. لسنوات خمس كنت تلومين نفسك، لأن أخيك مات. حسناً.. الكثير من الناس يخسرون من يحبون، وآن لك أن تتوقفي عن دور الشهيدة التي تنفي نفسها، فانضجي.

وشدها بقسوة إليه، وكأنه يعاقبها.. وحاولت أن تحرر نفسها، ولكن بديه الفولاذيتين أبقيتاها مسمرة. أخيراً استسلمت.. وعندما شعر بضعفها بين ذراعيه، خفف ضغطه عليها لكنه لم ينه العناق..

رفع ستان رأسه ينظر إليها، وجهه متجهم وهو ينظر إلى تعابيرها المذهولة، وعينيها المشتعلتين. وأبقاها بين ذراعيه، فتأوهت:

ـ دعني أذهب! لقد انتهى الاتفاق بيننا!

انتزعت نفسها من بين ذراعيه، وفتحت الباب تخرج إلى الرصيف، ثم تستدير:

ـ وداعاً سيد اواردز.. وسامحني إن لم أقل إنني كنت سعيدة بمعرفتك!

ناداها وهي تهم بالابتعاد:

ـ انتظري.. أوما..!

سمعت صوت بابه ينفتح ويُصفق، وتقدم نحوها والتصميم باد على وجهه.. أمسك ذراعيها بقبضة حازمة ولطيفة:

ـ أعرف أنني تصرفت بسوء الآن. وكان عليّ ألا أفقد أعصابي هكذا.. وسأعوض لك.. أعدك.. لن ألمسك ثانية إلا إذا أردت أنت.. أرجوك.. تعالي معي ليلة غد!

كانت مضطرة أن ترفع رأسها إلى الخلف لتنظر إليه، وجهه كان يلتمع بنور مصباح الشارع الفسفوري، وشعره مشعث، وخصلة واحدة تتدلى على جبينه تثير فيها ذكرى باول. اللعنة عليه.. سألت بغضب:

ـ وهل ستدعني وشأني؟

ـ أعدك.

ـ وتتوقف عن التطفل على حياتي كأوما بايروت؟

هز رأسه بعد تردد قليل، فأسرعت تقول قبل أن تغير رأيها: حسن جداً.

وتركها، فوقفت تراقبه يعود إلى سيارته ويدير المحرك ثم همّت بالدخول إلى مدخل شقتها وهو يبتعد.

لقد كانت تحب داريا حقاً.. لكنّ حين تطفلت الفتاة كثيراً على ماضيها، أخرجتها من حياتها.. فلماذا لم تستطع ترك ستان يرحل كذلك؟ وهل لديها القدرة أن تخدع نفسها أكثر من هذا؟ عرفت أن لديها الرد على هذا السؤال.

لكنها كانت تتمنى لو كان لديها الرد على ما دفعها لتترك نفسها تقع في حبه.

* * *

٤ ـ لعبة في قبضته

كان المنظر هو العامل الرئيسي الذي دفع ستان كي يقرر موقع مكتبه في هذه الغرفة.. فغرفته تطل على الحديقة العامة وفي الأيام المشمسة يراقب جمال الطبيعة لدرجة النسيان أنه وسط المدينة.. في أوقات أخرى، كان يراقب زحام حركة البواخر في خليج «بورارد» لساعات وهو يعمل على حل مشكلة ما.

هذا الصباح، لم يستطع ستان أن يستمتع بهذا المنظر، إنه يوم رطب كئيب من أيام تشرين الثاني والضباب يضغط على النوافذ.. مع ذلك، كان يحدق إليه، متجاهلاً النشرة القانونية المفتوحة على الطاولة خلفه، بينما هو يفكر بمعضلة أوما پايروت.. وافترض أن عليه أن يكون راضياً لأنه أقنعها بلقاء أصدقائه.. وهذه هي الخطوة الأولى في خطته التي تشمل مساعدتها له في حملته السياسية مع أن جدالهما ليلة أمس ترك أثراً سيئاً في نفسه.

عمله ناجح في القانون، وهو من أصغر الرجال الذين انتخبوا للمجلس التشريعي المحلي في تاريخ «ڤانكوڤر».. وله مستقبل مشرق في السياسة الوطنية.. وهو لم يصل إلى ما هو عليه اليوم، بسوء فهمه للناس.. لكنه ارتكب غلطة فادحة مساء الأمس. خلال الشهر الذي أمضاه في مقابلتها.. أطلق نحوها حملة ماكرة.. وباستخدامه كلماته بحذر، كسب اهتمامها، وأخيراً كسب حماسها لطموحه ومستقبله.

خلال ذلك الوقت أيضاً، أدرك أنها مصابة بهستيرية في مسألة كشفها عن هويتها كأوما پايروت.. لكنه كان يظن أن هذه مشكلة من

السهل حلها، سيناقشان ماضيها ويبديان كل شيء إلى العلن، ثم يلعب ورقته الرابحة.. كان يعي حقيقة مشاعرها نحوه.. قد لا تكون مغرمة به لكنها متورطة عاطفياً معه.. وسيستخدم هذه المشاعر الرقيقة ليكسب تعاونها فالمرأة لا تستطيع أن ترفض استغاثة رجل ترغب به.

وبحركة غاضبة ضرب قبضة يده على ذراع مقعده.. لم تجر الأمور كما خطط لها.. ولم ينجح بأسئلته عن ماضيها، وعن الأسباب التي جعلتها تتخلى عن مهنة الغناء. لأنها لم تعطه عن حياتها أكثر مما مضى.

أخيراً، انتقل إلى المرحلة الثانية من حملته لكسب تعاونها.. وقطب. هل كان مخطئاً حول مشاعرها نحوه؟ مع أنها اعترفت بتعلقها به، إلا أنها أصرت فيما بعد أن علاقتهما كانت علاقة عمل فقط، وأنها تقابله على أمل أن تفيد محل أزهارها، مع أنه لم يكن واثقاً ما إذا كانت تعني هذا أم إنها مجرد أقوال للدفاع عن نفسها.

أحس بالارتياح عندما رن جرس الهاتف في المكتب الداخلي وقطع عليه أفكاره.. تحرك في كرسيه ورفع السماعة.

ـ سيد اواردز.. السيد كوبر هنا يبغي رؤيتك.

ـ عظيم، دعيه يدخل وحضّري لنا القهوة، أرجوك! بعدها اهتمي بتلك الرسالة الصغيرة.

وهو ينتظر ابتسم مفكراً بقول أوما إن ما بينهما مجرد اتفاق عمل.. هذا الصباح قرر أن يستخدم هذا لمصلحته.. وسيلعب لعبتها حسبما تريد.. لكنه سيتأكد قبلاً أنها ستكون مدينة له، كي لا تغير رأيها.

وقف ستان يحيي صديقه وهو يدخل الغرفة.. وصلت القهوة، وانسحبت السكرتيرة تقفل الباب ورائها. فتح مايكل حقيبة أوراقه وأخرج منها ملفاً. وقال وهو يقلب ورقة أخرجها من الملف:

ـ نحن مستعدون تماماً لهذه الليلة. غوليان قادم، وكذلك سايمون وبراكس.. لكن ركز على غوليان، فالآخران يتبعانه بما يفعل.. إنه مهتم.. لذا لن يكون الأمر صعباً. دعمه سيكون ثميناً.. على فكرة.. من ستأتي معك؟

ـ أوما.

ارتفع حاجبا مايكل:

ـ حقاً؟ وكيف تمكنت من هذا؟ ظننت...

ـ لم يكن هذا سهلاً. لكن اصنع معي معروفاً مايكل واجلس الليلة إلى جانبها وحاول استجوابها.. لقد اصطدمت بجدار في كل مرة سألتها عن مهنتها القديمة.. حاول جاهداً أن تعلم لماذا تكره الكلام عن ماضيها.

ـ أتظن أنني سأعرف أكثر مما عرفت أنت؟

ـ حسناً.. أنا لم أصل معها إلى أي جواب.

ـ لكنك أقنعتها بالمجيء معك الليلة.

استدار في مقعده الدوار مجدداً، بوجهه الغاضب:

ـ هذا فقط بعد أن لويت ذراعها، لا أستطيع فهمها.. لقد قرأت كل ذرة معلومات عنها، ولا شيء يفسر تصرفها. تقول إنها تركت الغناء بسبب موت أخيها، لكن يجب أن يكون السبب أكثر من هذا.. أعرف أن الصحافة اضطهدتها لأنها لم تحضر جنازة أخيها.. لكن الأمر يبدو أنه نتيجة لرغبتها في تجنب الدعاية.

حلّت على وجهه نظرة اكتئاب بدل الغضب، وجلس مايكل بصمت يراقب صديقه.. واقترح أخيراً:

ـ أيمكن أن تشعر بأنها مسؤولة عن موته؟

هز ستان رأسه فوراً:

ـ لست أدري كيف.. كانت حادثة سير، وكانت حادثة مروعة..

السيارة احترقت، ولم يبق شيء من الجثة ليستعاد، لكنها كانت حادثة، لقد أفلت برغي من آلية القيادة، ووقعت السيارة من فوق الصخور.. فكيف تلوم نفسها لهذا؟

صمت عدة لحظات، ثم أكمل:

ـ أستطيع أن أفهم لو كانا مثل معظم المغنّين. كان باول متزمتاً جداً، وهي لم تكن تتلاءم مع حياة الحفلات الصاخبة، والعبث الذي ينغمس فيه معظم الفنانين في عالم الفن.. الثنائي بايروت لم يفعل هذا يوماً.. كانا طاهرين حتى أنهما كان يحولان المسرح إلى مكان أخلاقي!

صمت مجدداً وعاد إلى التحديق باكتئاب خارج النافذة. أخيراً قال مايكل:

ـ أعتقد أن عليك تركها.

استدار ستان يواجهه بتعبير جامد، فأكمل مايكل:

ـ لأكن صادقاً معك يا ستان، أنت لست في موقف يمكنك فيه تحمل لعب دور عالم النفس الهاوي.. فالأمور قد بدأت لتوها تتحرك بالنسبة لك.. وستتمكن على الأرجح أن توصلك إلى الانتخابات الثانوية.. وبصراحة عليك أن تركز تفكيرك على هذا الأمر.. اسمع: لقد سألتني أن أعمل معك في حملتك، وأنت تدفع لي ثمن النصيحة.. وهذا ما أفعله.. فانسَ أمر أوما بايروت.

ـ يمكنها أن تساعد كثيراً.

ـ من تحاول أن تقنع ستان؟ إنها لم تغن منذ خمس سنوات، والناس نسيتها تقريباً.. وأنت تحاول إكراهها لحضور حفلة عشاء عادية.. إنها غير مستعدة للتعاون.. ماذا سيحدث حين يصل وقت الانتخابات الفرعية؟ ستظهر للعلن ظهوراً بعد آخر. فهل تظن أنها ستفعل هذا بإرادتها؟

رد ستان بعناد:

ـ ستكون قد اعتادت على هذا.

ـ وهل ستعتاد؟ حسن جداً.. ماذا عن والدك؟

ـ ماذا عنه؟

ـ سيتسبب لنا بمشكلة حين يجد أنك تتواعد معها.. ودعمه لك مهم جداً.. ولا يمكنك تحمل إغضابه.

ـ والدي سيكون أول من يعترف بقيمة شخص مثل أوما پايروت في دعمها لي.. إضافة إلى هذا، ليس من شأنه مع من أتواعد.

ـ أظنك تسعى إلى شيء أكثر من الدعم منها، مع أنني أعتقد أنك تعيش في حلم غبي إذا اعتقدت أن جوليان اواردز سيقبل أوما پايروت كنّة له دون تذمر.

أجفل ستان:

ـ أنا لم أقل أبداً إنني أخطط للزواج منها.

ـ إذن لماذا لا تتخلى عنها؟

ـ لأنني أظنها ستكون مفيدة في حملتي.

ـ ألا تحبها؟

قالت ستان بحزم:

ـ لست مغرماً بها.. وأنا أتخذ قراراتي بنفسي.. أعتقد أن أوما پايروت مصدر قوة لي.. وبإمكانها أن تساعدني.. وسترى بنفسك الليلة.. الآن، إذا لم يكن لديك شيء آخر نناقشه، لدي هذه الأوراق أدرسها.

وأشار إلى كومة أوراق على طاولته.

وقف مايكل يتقبل الطرد: طبعاً.. أراك الليلة.

بعد مرافقة مايكل إلى الخارج، عاد ستان إلى طاولته والتقط الورقة الأولى من الملف أمامه.. ثم رماها مجدداً.. ووضع ذراعيه

خلف رأسه ينظر إلى السقف وشعوراً بالغضب يتملّكه من مايكل، ومن أوما.. لو أنها تعاونت، ما كان مايكل ليستنتج مثل هذا الاستنتاج المجنون. لقد كانت نجمة كبيرة والناس لم ينسوها بعد.. وهذا هو السبب الوحيد الذي يريدها لأجله إلى جانبه.

أخذت أوما تنفض نقاط المطر عن مظلتها وهي تسرع إلى دخول مبنى «غرايس».. شكراً لله لوجود آريل! فبعد أن تركها ستان ليلة أمس، لم تغف قبل مضي ساعات، ونتيجة لهذا نامت رغم انطلاق جرس ساعة المنبه في الصباح.. لكن على الأقل، كان مع آريل مفتاح المحل، ولا شك أنها فتحته.

دفعت الباب ودخلت، كالعادة توقفت لحظة وقت الدخول، تنتشق بابتهاج الروائح العالقة في جو محلها.. كان هذا أكثر ما يمتعها بامتلاكها لمحل الأزهار. فحتى عندما يكون المطر منهمراً لأيام دون توقف تشعر دائماً أن الصيف في المحل، وهذا ما يرفع معنوياتها.

خلعت معطف المطر، وشقت طريقها إلى مؤخرة المحل. تتوقف هنا وهناك لتلتقط زهرة ذابلة.. وكانت آريل تقف خلف منصة الخدمات، تراقب زبونة أخرى تتفحص باقة ورود حريرية.. وقالت أوما معتذرة:

ـ آسفة للتأخير هكذا آريل.. لقد نمت رغم رنين المنبه هذا الصباح، هل واجهتك أية متاعب؟

هزت الفتاة رأسها نفياً.

ـ لم يكن هناك عمل كثير.. لكن هذه السيدة تنتظر لتتحدث إليك.

أشارت إلى المرأة المتوسطة السن التي كانت تتفحص الزهور المعروضة.. ومدت المرأة يدها تصافح أوما مبتسمة:

ـ مرحباً.. لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى غبطتي بمقابلتك أخيراً

آنسة بايروت. أنا سكرتيرة السيد اواردز، نورما أديسون.. أشعر أنني أعرفك منذ سنوات.. فماذا عن ملاحقة عملك.

مساعدة أوما لا تعرف شيئاً عن عملها السابق، وتتساءل دون شك كيف «يلاحق» شخص عمل بائعة الزهور.. واقترحت أوما بهدوء:

ـ ربما نستطيع الكلام في مكتبي.

ـ بكل تأكيد.

وسارت الآنسة أديسون خلفها إلى المكتب.

أقفلت أوما الباب خلفهما وأشارت إلى كرسي تسأل ضيفتها ما إذا كانت ترغب بشرب القهوة، ووافقت، فابتعدت أوما تحضر القهوة. صبت كوبين، وسألت الآنسة أديسون كيف تحبها.

ـ دون سكر.

كانت المرأة تحدق بأكوام الأوراق على طاولة أوما.. وأحست أوما بالحرج.. بدت السكرتيرة قديرة جداً دون شك.

قالت المرأة بلطف بينما كانت أوما تجلس:

ـ الآن أعود للسبب الذي دعا السيد اواردز إلى الطلب مني أن أزورك.

فتحت المرأة حقيبتها وأخرجت قطعة من الورق وقالت:

ـ السيد اواردز يريد أن تكون لك مجموعة ملابس جديدة وهاك لائحة بالأشياء التي يعتقد أنك بحاجة إليها.. وأسماء المحلات حيث تستطيعين تسجيلها عليه لأنه له حساب جاري معها..

وأعطت أوما الورقة.

كانت أوما تصغي إلى السكرتيرة برعب.. وهي تقرأ اللائحة ازداد احتقان عينيها حتى أصبح قرمزياً.. ملابس سهرة، فساتين يومية، ملابس ركوب، أحذية وحقائب يدوية.. رفعت رأسها إلى المرأة غير مصدقة.. بعد ملاحظاته بالأمس لم تكن متفاجئة من كونه يريدها أن

تهتم بملابسها، لكن لم يخطر ببالها أنه فعلاً ينوي شراء مجموعة جديدة كاملة.. كان وجهها يحترق غضباً وهي تنظر إلى المرأة بحرج. كيف يمكن أن يكون بلا إحساس هكذا ليضعها في مثل هذا الموقف؟

ـ هو..

وصمتت تتنحنح لتجلي حلقها:

ـ هو يريدني أن أشتري هذه الأشياء؟

ابتسمت المرأة الأكبر سناً كأنها تقرر أمراً واقعاً، مما دعا أوما إلى التساؤل كم مرة دعيت لتنفيذ هكذا مهمة.

ـ السيد اواردز يعرف كم أنت مشغولة، لكنه يرغب في أن تبدئي التسوق عندما يصبح الأمر ممكناً.

رأت أوما أمامها نافذة للخلاص، فقفزت إليها كأرنب يختبىء في جحر.

ـ حسناً.. هذه اللائحة طويلة جداً.. ولا يمكن أن أتمكن من إيجاد الوقت لتسوقها.. لأنني مشغولة جداً في إدارة متجري.

ضحكت الآنسة أديسون.

ـ أوه.. إنه يعرفك جيداً.. هذا بالضبط ما قال إنك ستقولينه.. لهذا أرسلني إلى هنا.. سأتولى العمل في أعمالك المكتبية ليكون لديك الوقت للخروج.

لقد كنت محقة! فكرت أوما فاغرة الفم.. لكن قبل أن تهم بالكلام، قالت المرأة بسرعة:

ـ لا حاجة لأن تقلقي هكذا. أنا معتادة على مثل هذا العمل.. فقبل العمل مع السيد اواردز، كنت أعمل في الحسابات كمهنة حرة.. ولن أواجه مشكلة في إكمال العمل بشكل صحيح.

ـ لا أظن..

لكن قبل أن تتابع قولها ما لا تظنه، كانت المرأة قد بدأت تطلع

على الفوضى الورقية فوق الطاولة، وكانت أوما خارج المحل، بطاقة اعتماد مصرفي بلاستيكية تحمل اسم ستان اوردز في يدها، ولائحة ما ستشتريه في الأخرى.

اشتدت قبضتها حول الورقة، تكورها وهي تستدير لتسير في الردهة متجهة إلى المصعد الذي سيوصلها إلى مكتب ستان. خطت خطوة ثم توقفت، ونظرت إلى بطاقة الاعتماد. إذن، هو يظن أنها ترتدي ثياباً رخيصة؟ حسن جداً، ربما هذا صحيح، لكن ربما كذلك عليها أن تُظهر له كم هو ذوقها مكلف حين تكون في مزاج لشراء الثياب! مغمورة بموجة غاضبة للانتقام، استدارت على عقبيها وخرجت من المبنى بسرعة.

بعد أن ارتدت أوما ثوبها ذلك المساء، تفحصت مظهرها في المرآة الطويلة.. كان الفستان من «الجيرسي» الأزرق اللماع، يلتصق بحنايا جسمها ويعطيها قامة ممشوقة.. لكن أفضل ما فيه ثمنه فبثمنه يمكن شراء سيارة مستعملة ممتازة.

إذا كان لفستان أن يصنع خصيصاً لارتداء الألماس، فهذا هو الفستان. تقدمت أوما إلى صندوق مجوهراتها، وأخرجت طاقماً ألماسياً.. القرطين كانا مجرد دمعتين تتناسبان تماماً مع العقد بألماسته المتدلية من سلسلة بلاتين. وضعت الأسوارة المماثلة في معصمها وتلك عبارة عن طوق ضيق من البلاتين المزين بالألماس.. ورفعت شعرها بربطة عند مؤخرة عنقها.

رن جرس الباب. فرفعت الوشاح المخملي الأبيض الذي اشترته بعد الظهر وذهبت لترد، فتحت الباب ورأت ستان ينتظرها، يبدو أنيقاً بشكل مذهل في بذلة سهرة رسمية وقميص أبيض مكشكش.

لم يرف له جفن حين أعطته إيصالات مشترياتها، ووضعتها خيبة أملها في مزاج عدائي.. وسألته باختصار:

ـ حسناً، هل ألاقي استحسانك؟

اشتد ضغط فمه في ردة فعل على العدائية في صوتها، وتابع تفحصها.. رأت بروز ذقنه من الغيظ، وبدت عيناه باردتين وهما تمران على فستانها.. أخيراً قال بصوت فاتر: تبدين جميلة.

تقبلت الإطراء بصوت مليء بالسخرية:

ـ أنا مسرورة لاستحسانك، لأنني أرغب في أن تحصل على ما يساوي مالك من اتفاقنا..

رأته يجفل، وعرفت أنها لامست وتراً حساساً.. ولكي تزيد من سخريتها رفعت ذقنها بكبرياء..

تابع تفحصها لحظات، ثم سأل:

ـ لماذا تصففين شعرك دائماً هكذا؟

ردت بفظاظة باردة:

ـ لأنني أحبه هكذا.

رأته يتوتر ويصرّ على أسنانه من شدة الغضب.. إنها تتعمد أن تكون معادية، لكنها لم تكن تهتم.. ولمعت عيناها بتحدٍّ في وجهه. للحظة ظنته لن يستجيب، لكن حين بدأت ابتسامة رضى ترتسم على شفتيه، قال فجأة:

ـ أنا لا أحبه.. دعيه ينسدل.

تجاهلت الأمر، وأدارت ظهرها متعالية له، فتقدم منها خطوة ليقول بلهجة جافة:

ـ لا تديري ظهرك لي أوما.

امتدت يده تمسك معصمها بينما ارتفعت الأخرى إلى شعرها تنتزع ملاقط الشعر التي تثبت شعرها. حين حاولت مقاومته، استخدم ذراعها ليشدها إليه، وأخذت تبعد رأسها بعدما وعت أنه ينظر إليها بتعال ويلاحظ ارتفاع اللون الأحمر إلى خديها..

ـ أنا.. سأفكه بنفسي.

وتركها على الفور.. دون أن تتمكن من تحمل نظرته الساخرة المتسلية، دخلت مسرعة إلى غرفة نومها تنتزع الدبابيس المتبقية.. بغضب، مررت فرشاة في شعرها الطويل الأحمر البني، تكشر ألما حين علقت الفرشاة في خصلة صغيرة منه، أخيراً أجبرت نفسها على الهدوء، مع أنها كانت لا تزال ترغي غضباً حين عادت إلى غرفة الجلوس.

هز ستان رأسه: هكذا أفضل.

وقعت عيناه على العقد الألماسي المستكين على بشرتها العاجية، ولامست أصابعه عنقها وهو يتفحصه.

ـ أهي حقيقية؟

ـ طبعاً.. لكن لا تقلق، فأنت لم تدفع ثمنها.. فهي من ممتلكاتي الخاصة أملكها منذ سنوات. ولدي مجوهرات رائعة كثيرة، معظمها حقيقي.. بما فيها اللآلىء.

وكرهت نفسها لهذرها الطفولي.. وهي تخطو مبتعدة عنه، عادت الألماسة تتدلى على جيدها، وقال:

ـ هل أنت جاهزة للخروج؟

وأمسك وشاحها، فأدارت له ظهرها ليضعه على كتفيها.

سألها بغضب، يديرها لتواجهه:

ـ أوما.. أتقولين إن تلك اللآلىء والمجوهرات الأخرى التي رأيتك تضعينها ليست مقلدة؟

ردت بحدة: وماذا في هذا؟

ـ فهمت.

ـ ما الذي تحاول الوصول إليه بالضبط؟

ـ لا بأس في هذا.. آن لنا أن نخرج.

ضربت أوما قدمها في الأرض، بعد أن غاص معنى كلامه في رأسها.

ـ لن أتحرك قبل أن ترد عليّ. أتظن أن رجلاً ما اشتراها لي، أليس كذلك؟

ـ بالطبع لا. لم أقل هذا.. فلنترك الموضوع، أيمكن؟

تقدم إلى الباب يفتحه، ثم استدار قائلاً:

ـ هل أنت قادمة؟

ـ لا.. لك خيال قذر ستان، ولن أخرج معك..

كتّفت ذراعيها أمامها، ووقفت تحدّق به بغضب. تقدم إليها يمسك معصمها بقبضة شديدة:

ـ بلى.. ستخرجين معي. أنت من قلت إن ما بيننا اتفاق عمل، وأنا الآن أطالبك بتنفيذه.. لقد اشتريت صحبتك الليلة بهذا الفستان الذي ترتدينه، وهو الجزء الخاص بي من الاتفاق.

قاومته مجدداً لتتخلص منه:

ـ أتركني.. لن أذهب معك إلى أي مكان!

لكن قبضته كانت قاسية..

توقف عند الباب:

ـ أنت قادمة معي.. والأكثر من هذا ستحسنين التصرف. دعيني أقولها بلغة تفهمينها.. أنت تكلفينني كثيراً لأحضرك.. بيننا اتفاق، ولسوف تلتزمين به.

ـ وكيف تظن أنك ستجبرني؟

ابتسم، التواء بشع لشفتيه جعلها تحس بالبرودة:

ـ هل تساءلت يوماً لماذا يوجد مكتبي القانوني في مبنى «غرايس»؟ دعيني أقول لك.. السبب أنني أحد مالكي البناء وأنا أكيد أنه لو كان لدينا مستأجر لم يكن سعيداً به، لن أجد مشكلة في إخراجه.. فهل

فهمت رسالتي!

نظرت إليه متحدية:

ـ لدي عقد إيجار.

ـ وأنا محام.. وأعرف كل شيء عن فسخ الإيجارات.

فتحت أوما فمها ثم أقفلته.. لقد بنت حياتها كلها ورهنتها للمتجر ولا تريد أن تخسره.. وهمست: سآتي.

ترك معصمها، فأحست بوخز في يدها مع عودة الدم إليها، وقد ظهرت دوائر حمراء من ضغط أصابعه عليها.

قال بغطرسة يضع يده على مرفقها:

ـ كنت أعرف أنك ستنظرين إلى الأمور بطريقتي.

توقفت سيارة المرسيدس العاجية اللون أمام مبنى سكني فخم.. وخرج ستان ليفتح لها الباب، ويساعدها على الخروج، ثم يرافقها إلى ردهة البناء. وكانت قد تجنبت حتى الآن التفكير بأنها ستقدم إلى قاعة مليئة بالناس باسم أوما پايروت.. لكن ما هي إلا بضع ثوان ويحدث هذا.

قال ستان وأبواب المصعد تقفل ليحملهما إلى الطابق العلوي من المبنى:

ـ توقفي عن هذا أوما.. ما بالك؟ تبدين وكأنك سيغمى عليك.

أخفت ارتعاش يديها في ثنايا وشاحها: أنا بخير.

كيف يمكنها أن تشرح له أن فكرة لقاء عدد كبير من الناس باسم أوما پايروت يجعلها تحس بالسقم من شدة الخوف؟ ماذا لو سمع أحدهم شائعة ما؟ ماذا لو سألوها عن باول؟ لن تتحمل أية غلطة أو زلة لسان.

وقف ستان بواجهها، مقطباً بعمق، بعد أن لاحظ شحوب خديها، والنظرة الخائفة في عينيها:

ـ أنا آسف لأنني كدرتك قبل قليل.. لم أكن أحاول أن ألمح إلى شيء حين علقت على مجوهراتك.. كنت أعرف أنك اشتريتها بنفسك.

ـ إذن.. ماذا كنت تعني؟

ـ الأمر فقط، أنني حين أدركت أنها حقيقية، صدمتني خسارتك في تركك لمهنتك.. هل تعلمين كم من الناس يمكنهم الحلم بما حققته من نجاح، ثم ابتعدت عنه؟ لقد كان لديك كل شيء.. وأدرت ظهرك إليه.

ـ المال والنجاح ليسا كل شيء ستان.

ـ أعرف هذا.. لكن لا شك أنك أردتهما في البداية وإلا ما وصلت إلى حيث وصلت.

ـ لم أعد أريدهما.. كل ما أريده أن أترك وشأني، أن يكون لي متجري، وحرية إدارة حياتي كما أريد، دون تدخل منك.

ـ حتى ولو كان التدخل لصالحك؟

ـ أوه.. أنت حقاً تهتم «بصالحي» أليس كذلك؟ منذ خمس دقائق كنت تهددني بأن تدمر عملي، وتسلبني إياه!

تنهد ستان بنفاذ صبر:

ـ لم أعن ما قلت.. لقد فقدت أعصابي. لقد كنت مستعدة لشجار منذ أن دخلت إلى شقتك.. وما كان يجب أن أدعك تحرضيني.. لكن ألا يمكن أن نتوقف عن الجدال؟ أنا لن أسلبك متجرك.. بل سأساعدك في عملك.

حررت يدها منه، وفمها مشدود:

ـ أتمنى لو أنك تركتني وشأني.. أنا لم أكن راغبة في المجيء إلى هنا الليلة.

ـ ستتمتعين بالحفلة، فتوقفي عن الظهور وكأنك ذاهبة إلى

الإعدام.. إذا كنت تتصرفين هكذا لأنني سأقدمك كأوما بايروت، فتوقفي عن هذا التصرف.

شدها إليه، وطبع قبلة سريعة على جبينها.

تحررت منه بسرعة وأخذت تلعنه:

ـ اللعنة عليك.. لقد وعدت أن لا تلمسني!

ضحك ستان بخفة، مبتسماً برضى:

ـ على الأقل دفعت ببعض اللون إلى وجنتيك.. ابتسمي الآن.. لقد وصلنا.

وهي تغلي من الإحباط، لحقته إلى الخارج. وعندما وصلا إلى باب الشقة، رن ستان الجرس وهو ينظر إليها.

ـ قلت ابتسمي.

رفعت رأسها إليه بتمرد.. لكن حين خطا نحوها ابتسمت بسرعة..

وفتح الباب.. لتبدأ محنتها.

* * *

٥ ـ وفي النهاية بكت . . .

تقدمت امرأة نحو أوما وغمرتها بعطرٍ ناعم مفعم برائحة الأزهار:

ـ لا تتصورين مدى سعادتي عندما سمعت أنك ستكونين هنا الليلة.

بشكل آلي ابتعدت أوما، فوجدت أنها مستندة إلى المدفئة السوداء. . لطالما آمنت بأن يكون للمرء خلوته الخاصة، ولم يزعجها شيء أكثر من أن يتطفل أحد على خلوتها بنفسها، خاصة إن كان غريباً.

تفرست عيناها بغرفة الجلوس، تبحث عن ستان. . عندما وصلا قبل قليل، اندهشت أوما بشقة مضيفهما. . شقة في الطابق العلوي مفروشة بأسلوب فريد من نوعه.

لمحت ستان يقف على بعد أقدام، مستغرقاً في حديث مع رجل آخر. مع أنها التقت بعينيه، إلا أنه ابتسم لها فقط قبل أن يركز اهتمامه على الرجل. . لا أمل في إنقاذها. . لا شك أنه مسرور لأنها علقت في فخ هذه المرأة، التي كانت تقف إلى جانبها تقول وكأنها تسرّ لها:

ـ هذه الحفلات عادة مملة. الرجال دائماً يتجمعون في زاوية يتحدثون في الرياضة أو السياسة، ويتركوننا لوحدنا نحن الزوجات.

كانت امرأة مسنة تجاوزت الخمسين. . ووضعت يداً لطيفة على ذراع أوما، التي حاولت أن لا تجفل منها مبتعدة:

ـ أنا مسرورة جداً لأن هناك أحد مثير للاهتمام مدعو إلى هذه

الحفلة. لطالما كنت معجبة بك وبأخيك. كنتما طفلين رائعين، إنها مأساة كبرى انتهى إليها عملك الفني.. لكنني أفهم ما هي مشاعرك حول الاستمرار بعد مقتله.. وكنت أتساءل..

قاطعتها أوما بحدة:

ـ أنا آسفة.. لأنني لن أناقش موضوع عملي القديم الآن، لو سمحت لي.. أرجوك؟

بدت المرأة مجفلة وأوما تتجاوزها مسرعة إلى الغرفة لتقف إلى جانب ستان. دس ذراعه حول خصرها، ينظر إليها. ثم تحركت عيناه نحو المرأة التي كانت تتحدث إليها، وقطب قليلاً عندما لاحظ أن المرأة محمرّة الوجه وساخطة.. استدار إلى الرجل الذي كان يتحدث إليه وقال:

ـ لماذا لا نكمل حديثنا فيما بعد؟ سأجول بأوما بين الحضور لأتأكد من أنها تعرفت على الجميع.

ابتعد بأخذها معه، لكن عوضاً عن الانضمام إلى جماعة أخرى، اصطحبها إلى زاوية هادئة خلف شجرة تين مزروعة في أص ضخم، وهمس بصوت منخفض:

ـ ماذا قلت للسيدة غوليان؟ تبدو وكأنك أهنتها.

ـ حسناً.. ربما فعلت.. أنا فقط.. لم أستطع أن أكلمها أكثر من هذا.

ارتجفت يدها وهي ترفعها لتبعد خصلة شعر عن وجهها، كانت تشعر بإرهاق وبأنها غير مؤهلة للجدال أبداً معه.

ـ اسمعي أوما.. أعرف أنها امرأة مزعجة أحياناً.. لكن ألا يمكن مسايرتها؟ زوجها رجل مهم جداً.

نظرت إليه بعجز. كانت تعلم أنه يحاول جاهداً السيطرة على نفاد صبره.. لكنها لم تعرف كيف تتمكن من الشرح له أنها لن تستطيع

تحمل أسئلة المرأة المتطفلة. ثم ضحك رجل من خلفها:

ـ جئتما إلى هنا إذن؟

التفتت أوما حولها بارتياح فوجدت مضيفهما يتقدم نحوهما:

ـ آسف، لكن عليكما أن تتوقفا عن الحديث الآن. فالعشاء أوشك أن يجهز، وسأطالب بأفضليتي كمضيف، أن أرافق السيدة الجميلة إلى المائدة.

رد ستان بطلاقة: للعشاء فقط.

وتركها لمايكل، عيناه تلمعان سخرية وهي تنظر إليه نظرة غضب قبل أن تترك لمايكل أمر مرافقتها..

على مائدة العشاء لاحظت أنها تجلس إلى يمين المضيف، وسلاّها أن ستان كان يجلس في أبعد مكان عنها قرب السيدة غوليان.

أحست برضى عارم لمعرفتها أنه هو المضطر الآن لتحمل أخلاق المرأة الخرقاء، وملاحظاتها الشخصية طوال الوجبة.. بعد دقائق، استرقت نظرة خفية باتجاه ستان وأصيبت بخيبة أمل لرؤيته يتمتع بصحبته.. مع أنها أدركت أن الأمر له علاقة أكثر، بالشقراء الجالسة على الجانب الآخر.

شغلت نفسه باحتساء الحساء الذي أمامها، لكنها فجأة لم تشعر بالجوع. وتساءلت عما إذا كانت تلك الفتاة واحدة ممن يتلقين الأزهار التي كان يبتاعها من محلها.. كانا زوجاً فاتناً، ورأسيهما محنيان قرب بعضهما، أحدهما شديد السواد، والآخر أشقر.. وأجبرت أوما ملعقة أخرى من الحساء أن تدخل فمها.. كيف يمكن أن تسمح لنفسها بأن تغار مع أن كلامه كان عن الصداقة فقط؟ فستان قد أوضح لها أنه مهتم باسمها أكثر من اهتمامه بها؟

سمعت صوتاً قربها:

ـ يجب أن أقول إنني معجب بذوق ستان.

رفعت رأسها ورأت مضيفها يتفرس بها وابتسامة خفيفة بادية على شفتيه، فابتسمت له بحرارة أكثر من اللازم. فالثنان يمكن أن يلعبا لعبة ستان.. ورفضت أن تترك العنان لمقلتيها أن تقوداها إلى الطرف الآخر أي إلى حيث كان ستان يعبث مع الشقراء.

وقال مايكل:

ـ كنت أبدي إعجابي بذوقه في النساء فقط.

رغماً عنها، نظرت باتجاه ستان، وابتسامتها تتلاشى فقال مايكل بسرعة:

ـ يا إلهي لا يمكن أن تظنيني عنيت شيئاً؟

ـ إنها جذابة جداً..

وجلت أوما وهي ترى ستان يلقي برأسه إلى الوراء ويضحك لما قالته الشقراء.. ورد عليها مايكل:

ـ لكنها ليست بمنافسة.. صدقيني.. سوف يبعدها ستان عنه ما إن ينتهي العشاء.. كل ما كان يتحدث عنه في الشهر المنصرم هو أوما بايروت.. حتى أنني ظننته لن يتوقف عن الاحتفاظ بك لنفسه!

تمتمت أوما بكلام غير مفهوم، وعادت تركز اهتمامها بالحساء.. لقد تحدث ستان مع مايكل عنها، وتساءلت عما قاله.. ولم تكن بحاجة لانتظار طويل لتعرف، إذ تابع مايكل:

ـ قال لي ستان إنك ستساعدينه في حملته.. لذا أعتقد أننا سنراك كثيراً في الأشهر القادمة.. هل ذكر لك أنني أعمل معه؟

هزت رأسها نفياً.. ماذا يعني أنها ستساعده في حملته؟ إنها لم توافق سوى على لقاء أصدقائه، وهذا كل ما في الأمر!

ـ أنا مدير حملته، وهو مؤمن أنك مصدر منفعة له.

أحست في لهجته ما جعلها تنظر إليه.. وكان يبتسم لها، مع ذلك شعرت أنه لا يشارك ستان رأيه.. حسناً، جيد جداً! ربما يقنع ستان بأن

يدعها وشأنها.

جاءت الخادمة بالطبق التالي، بعد رحيلها علقت أوما على أناقة شقة مايكل الفريدة من نوعها. فقال مايكل مقاطعاً طعامه وهو يبتسم:

ـ إنها ستعجبك أكثر مع الوقت.. شقيقتي آبي زينتها لي، وكدت أقتلها عندما شاهدتها أول مرة.. كنت مسافراً وحين عدت، وجدت هذا.

وأدار ذراعه في الهواء:

ـ ولم أكن أعتقد أنني سأتحمل العيش هنا.. لكنني الآن وقد اعتدت عليها، أصبحت أحبها، مع أنني لا أعترف لآبي بهذا! أنا ممتن لشقيقتي بشيء واحد.. لقد هيأت لي جهاز ستيريو عظيم، وأنا مجنون بالموسيقى. عليك أن تأتي مع ستان إلى هنا فتستمعي إلى مجموعتي الموسيقية، من بينها اسطواناتك.

ابتلعت أوما طعامها بصعوبة.. هل تقود كل طرق الحديث إلى أوما بايروت؟ أخيراً قالت بصوت ممازح:

ـ أنت إذن من يحتكرها.. كنت أتساءل من؟

ضحك وقال يؤنبها:

ـ عليك ألاّ تكوني متواضعة لهذه الدرجة.

التوت شفتاها بابتسامة خشنة:

ـ في الواقع، هذا ليس بعيداً عن الحقيقة. صحيح أننا نجحنا كثيراً في حياتنا، لكن الألبومات كانت كارثة. المصاريف والإعلانات استهلكت كل أرباحنا.

ـ حقاً؟ هذا يدهشني.. كنت أظن أن تسجيلاتكما مربحة جداً.

هزت كتفيها:

ـ أعتقد أنها لم تكن سيئة المبيعات، لكن وقعنا اتفاقاً من تلك التي يحصل الجميع فيها على الربح عدانا.

ولقد عرفت هذا بعد موت باول.. صحيح أن ليس فيها ما هو غير قانوني، فتود مانسون أذكى من هذا.. مجرد استثمارات فاسدة، ومصاريف مبالغ فيها. ولولا مجوهراتها لكانت مفلسة تماماً.

قُدمت القهوة في غرفة الاستقبال بعد العشاء، وما إن جلست على الكنبة حتى احتل ستان المكان إلى جانبها، تاركاً سينتيا الساخطة تفتش عن مقعد لنفسها.. وبقي الحديث عاماً، وارتشفت أوما قهوتها بهدوء، دون أن تنضم إلى الحديث. وأجابت على كل أسئلة أصدقاء ستان بهدوء، ربما يدرك الآن أنها لا تكره ماضيها بقدر ما تفضل ببساطة أن تكون أوما دوناهو، بائعة الزهور على أن تكون أوما پايروت المغنية.

حين وقف ستان أخيراً، ساعدها على الوقوف وسألها بعذوبة:

ـ لم تكن الأمسية محنة كبيرة.. أليس كذلك؟

ابتسمت وهي تهز رأسها:

ـ لا.. فأنا.. تمتعت بها.

ـ فتاة طيبة! فلنذهب ونودع مايكل.

كان مايكل واقفاً قرب الباب يودع الزوجين غوليان.. لوّح لهما، ثم حوّل اهتمامه إلى ستان وأوما..

ـ ستذهبان الآن؟

ـ لدي عمل في الغد، وأنا واثق أن أوما منشغلة كذلك. كل شيء كان على ما يرام.. ألا تظن هذا؟

وافق مايكل ثم قال لأوما:

ـ أنا مسرور لحضورك.. وكما قلت سابقاً، أتوقع أن نلتقي كثيراً في المستقبل القريب. ربما نتناول الغداء معاً هذا الأسبوع ونناقش دورك في حملة ستان.. هناك حفلة رقص خيرية كبيرة في الشهر القادم و..

قاطعه ستان:

ـ كما كنت تقول.. سنناقش كل الأمور وقت الغداء.. اتصل بي غداً لترتب الموعد.. فلنذهب الآن أوما.

قادها بسرعة خارج الشقة. في الممر جذبت ذراعها منه ونظرت إليه غاضبة:

ـ ماذا كان مايكل سيقول؟ لقد وافقت على لقاء أصدقائك فقط، مع ذلك كان مايكل طيلة السهرة يتفوه بملاحظات حول مساعدتي لك في حملتك.. فماذا تخطط؟

عاد وأمسك ذراعها، متوجهاً إلى المصعد:

ـ لا نستطيع الكلام هنا أوما.. سنناقش الأمر حال وصولنا إلى شقتك.

العودة إلى شقتها تمت بصمت مميت، وما إن أوقف ستان سيارته المرسيدس، حتى قفزت أوما منها وصفقت الباب خلفها ثم دخلت المبنى تاركة ستان يلحق بها.. وبعد إقفال الباب خلفهما قالت له:

ـ عمّا تكلم مايكل؟ عن مساعدتي لك في حملتك؟

مرر يده على عنقه بنفاذ صبر:

ـ ولماذا أنت غاضبة هكذا؟ لقد ناقشنا كل الأمور ليلة أمس، ووافقت على متابعة رؤيتي والظهور إلى جانبي في المناسبات الاجتماعية.

سألت ساخرة:

ـ وهل تحتاج إلى مناقشة هذا مع مايكل حول غداء؟ أنتما الاثنان «تطبخان» شيئاً.. ماذا أراد أن يقول عن الحفلة الخيرية؟

ـ هناك حفل خيري في «فيكتوريا» بعد أسبوعين.. وبما أنه سيتواجد العديد من المراسلين، نريد فقط مناقشة الأسئلة التي قد يطرحونها عليك، وكيف سيكون ردك عليها.

ـ لن أذهب معك ستان.. قلت إنه عليّ أن أقابل أصدقاءك وأن أذهب معك إلى بضع حفلات. ولم أوافق أبداً على الحديث مع الصحافيين.

ـ لن يجروا معك مقابلة صحفية.. قد يرغبون فقط أن يطرحوا عليك بضع أسئلة.. الفكرة كلها هي أن يعرف الجميع أننا نتواعد معاً، وهذه الحفلة هي فرصة جيدة.

هزت رأسها قائلة:

ـ لم يكن جزءاً من الاتفاق الحديث مع الصحافيين وتركهم يتطفلون مجدداً على حياتي.

أخذ يتمتم بالشتائم، ثم صاح غاضباً:

ـ أنت وذلك الاتفاق الغبي! ألا يمكنك النظر إلى الأمور من منظاري لمرة واحدة؟ يمكننا أن نحصل من كل هذا على دعاية جيدة.. ولو حاولت التعاون لأمكننا ذلك من جعلك تغنين بضع أغنيات في الفرقة الموسيقية.. وهذا سيترك انطباعاً مذهلاً..

صرخت في وجهه مذعورة:

ـ لا! لا! قلت لك إنني لن أظهر مهنياً.. لن أفعل!

ـ ولماذا لا؟ سمعتك تغنين في المحل، وصوتك لا زال رائعاً كما كان.. وأنا لا أقترح استعراضاً، بل مجرد أغنية أو اثنتين، وستكون للحفلة الخيرية.. مع قليل من التمرين..

صرخت بشكل هستيري:

ـ لن أغني! ولن أتكلم مع الصحافيين.. وبإمكانك نسيان كل ما اتفقنا عليه.

ـ تعقلي أوما.

صاحت مجدداً:

ـ لا..! لا أستطيع ستان! يمكنك تهديدي، أو أخذ متجري، لن

أهتم. لن يجعلني أفعل هذا لا كلامك ولا فعلك.

نظر إليها ستان وقد ذاب غضبه.. ووجهها مخطوف اللون، عيناها قاتمتان معذبتان.. ووضع يديه على كتفيها، وقال بلطف: حسن.. اهدأي.

ترقرقت الدموع في مآقيها إلى أن انسابت على خديها.

ـ أنا لم ولن أوافق أبداً على الغناء. لا يمكنك إجباري.. لن أعود! لن أكون أوما پايروت مجدداً. عندما مات باول كانت النهاية.. انتهى كل شيء.

صوتها كان همساً فضمها ستان إلى صدره، وأخذ جسدها يتنفض بالعبرات وهي تدفن وجهها في صدره.

همس مجدداً:

ـ هس.. لا تبكي أوما.. اهدأي الآن. لن أجبرك على شيء.. سنعود إلى اتفاقنا الأول، وسننسى الاتفاقات والحملة السياسية.. لكن لا تبكي أبداً.

***

وقفت أوما على رؤوس أصابع قدميها ومطّت جسمها لتصل إلى علبة في مؤخرة الرف، فترنح السلم الصغير تحتها، وتمسكت بطرف الرف لتستعيد توازنها.. تلك الغرفة ليست أكبر من خزانة.. وكانت كلما احتاجت إلى شيء من الرف العلوي كان يتواجد في مؤخرة الرف. في الحالة هذه، كان ما تحتاجه صندوق رباطات مطبوع عليها عام سعيد بألوان مبهرجة.

قبل ثلاثة أيام من الميلاد، كان العمل يجري على قدم وساق فمنذ الصباح والزهور تتدفق من المحل كلوحات رائعة الألوان.. لحسن الحظ خف تدفق الزبائن بعد الغداء، ممّا سمح لأوما أن تجمع ما تريد أخذه معها.. المحل سيقفل صبيحة الميلاد.. لكنها نَوَتْ التحضير

لباقات رأس السنة خلال العطلة. حاولت مجدداً الوصول إلى العلبة، وسألها صوت مألوف من خلفها:

ـ ماذا تحاولين أن تفعلي بحق الله؟

التفتت مجفلة. كان ستان يقف بالباب وصاح بنفاد صبر:

ـ لأجل الله أوما.. أتحاولين كسر عنقك؟

ووضع يديه حول خصرها يساعدها على النزول عن السلّم.

يللت أوما شفتيها، وتسارعت نبضات قلبها بضربات غير مألوفة لاقترابه منها.. رؤيته مجدداً جعلتها تدرك كم اشتاقت إليه.. فبعد أيام من حفلة مايكل اتصل بها وأخبرها أنه مضطر للسفر وأنه سيراها عند عودته.. ومع تحول الأيام إلى أسابيع، اقتنعت أن الرحلة كانت مجرد عذر كي لا يراها ما إن عرف أنه ليس بإمكانه تقديمها كمغنية، ولم يعد يحتاج إليها. وبعد أن بدأت تتقبل هذا.. فجأة عاد إلى حياتها.

صاحت ساخطة:

ـ إنه عنقي.. وإذا أردت أن أكسره، فلا شأن لك بما سأفعل.

وحاولت التملص من قبضته، لكن حركتها أفقدتها التوازن، فوقعت يداها على كتفيه لتثبت نفسها.. فرفعها عن السلم بسهولة.

أبقاها بين ذراعيه.. رأت خطوط التعب بادية على محيّاه الوسيم.. واسترخت أساريره وابتسم:

ـ هل اشتقت إليّ نصف ما اشتقته إليك؟

وضمها إليه بلطف ورقة.. وأرسل الشوق إلى داخلها. دون وعي تسللت ذراعاها والتفتا حوله.. لقد اشتاقت إليه أكثر مما تصورت. لقد أصبح جزءاً من حياتها، وجزءاً مهماً جداً.. إنها بحاجة إليه.. لم تكن تدري لماذا جاء إلى هنا، كل ما تعرفه انها مهما تمنت العكس، فهي تحبه وتحتاج إليه.

عندما أبعد رأسه إلى الوراء وقال بلهجة انتصار:

ـ أنا مؤمن بأنك اشتقت إليّ أوما.

سارعت لتخرج من دائرة عناقه، غير قادرة على ملاقاة عينيه.. كيف سمحت له أن يفاجئها هكذا؟ بكل تأكيد هذه اللحظات لم تعنِ له شيئاً وتنحنحت وقالت:

ـ من المفترض ألاّ تعانقني؟ أتذكر هذا؟

ابتسم وهو يكذب أكبر كذبة في العالم:

ـ نسيت.. أتقولين إنك لم تتمتعي بعناق الميلاد؟

ابتعدت عنه بسرعة وهي تسأل:

ـ كيف كانت رحلتك؟

هز كتفيه:

ـ مثيرة للاهتمام، لكنني سعيد بعودتي. كنت أحاول الاتصال بك لكن لم تتح لي الفرصة.

ـ هل أتممت كل أعمالك.

ـ لم تكن رحلة عمل.

إذن كان في عطلة: أوه.

وكأنه قرأ أفكارها، بدا لمعان التسلية في عينيه:

ـ أظننت أنني كنت أقضي عطلة في جزيرة استوائية؟ لا.. ليس الأمر هكذا.. لقد سافرت إلى الصين.

ـ أين؟

ـ الصين. تجولت هناك مع رجال أعمال لمدة أسبوعين. لم أذكر هذا من قبل لأنني كنت قد قرر ، عدم الذهاب.. لكنني غيرت رأيي.

فكر قليلاً مشيحاً بعينيه وهو يتساءل عن ردة فعلها لو علمت لماذا غيّر رأيه. آخر ليلة لهما معاً حين بكت بين ذراعيه، كانت نقطة تحول بالنسبة إليه.. لقد أيقظت فيه شيئاً لم يعتقد أنه يمتلكه.. وللمرة الأولى في حياته يشعر بأنه يريد حماية امرأة. والرحلة كانت آخر

محاولة لإقناع نفسه بأنه قادر على نسيانها.. لكنه لم ينسَ، فقد احتلت كل أفكاره.. وعندما رآها، رأى الوجه المحبب الذي لاحظه في فترة غيابه. وأقبل إليها قائلاً:

ـ اشتقت إليك أوما.. لكنني الآن مضطر للسفر مرة أخرى. أتيت لأعلمك أنني مضطر للسفر بعد الظهر إلى منزل والداي في ڤيكتوريا.. وسأقضي فترة الأعياد معهما.. لذا جئتك بهدية الميلاد.. تركتها في الخارج.

أسبلت رموشها كي لا يقرأ تعابير عينيها.. وابتسمت وخطت مبتعدة عنه:

ـ لكن هديتك ليست هنا.. تركتها في شقتي.

لم تكن تعرف لماذا خصصته بهدية، فقد كانت واثقة أنه خرج من حياتها.. مع ذلك اختارت زرين ذهبيين لكمي قميص كانتا لباول، ولفتهما لمجرد الاستعداد، كان الزران من الذهب المرصع بالزفير ولم تكن متأكدة لماذا تريده أن يأخذها.

ـ لا تشغلي بالك.. بإمكانك أن تعطينيها عند عودتي.

أخذت تعيد ترتيب الزهور دون وعي منها: طبعاً.

ـ ماذا كنت تريدين من أغراض عن الرف عندما دخلت؟ سأنزلها لك قبل أن أذهب.

ـ لا بأس في هذا تيري، عامل التوصيل عندي، سيحضره لي.

صعد السلم:

ـ لا أمانع، قولي لي ما تريدين إنزاله.

ـ العلبة الزرقاء في الخلف.

وصلها بسهولة وأعطاها إياها، يراقبها وهي تضعها في الصندوق الكرتوني الكبير مع حاجاتها الأخرى، وسأل:

ـ ستأخذينها معك إلى المنزل؟

ـ أجل.. لدي الكثير من الطلبات لحفلات رأس السنة، وسأبدأ بتحضيرها في العطلة.

ضاقت عيناه:

ـ افترضت أنك ستسافرين.

قالت مترددة:

ـ ليس لدي وقت كافٍ لقضاء عطلة، ولن أقفل المحل سوى لثلاثة أيام فقط.

ـ وأين ستقضين عيد الميلاد؟

لم تعرف كيف ترد عليه.. فقال فجأة:

ـ أوما.. ألبس لديك خطط؟.. بما أن الأمر هكذا بإمكانك المجيء معي إلى ڤيكتوريا.

فكرة قضاء عيد الميلاد معها جعلت قلبه يغنّي. وردت مذهولة: إلى ڤيكتوريا؟

ـ أظنك ستستمتعين بالرحلة.

إن شعوره هو الشفقة عليها، وقطبت:

ـ أوه.. حسناً، شكراً لك على الدعوة لكنني لا أظن أنني سأذهب.

ـ ولماذا لا؟ ليس لديك خطط أخرى؟

لم تنظر إليه:

ـ في الواقع لدي عمل كثير عليّ إنهاؤه خلال العطلة.

ـ لا تكوني سخيفة أوما.. ما من أحد لا يأخذ عطلة يوم الميلاد.

ـ أوه ستان.

نظرت إليه فرحة لأن الدعوة راقت لها.. فهي لا تريد شفقته.. إلا أنها لم تستطع دفع نفسها للرفض مباشرة، وأخيراً قالت:

ـ ربما لو سألتني مسبقاً لفكرت بالأمر، لكن ليس في وقت قصير

هكذا. لا أستطيع أن أرمي نفسي على عاتقك في الميلاد.. فأنا غريبة ولن يكون هذا مريحاً.

ـ أرجوك أوما! آن الوقت لتقابلي عائلتي.

احتجت مع إحساسها بالضعف:

ـ لا أظن هذا.. ليس لدي ما آخذه لهما، والوقت متأخر لشراء هدية للميلاد.

ـ لن يتوقعوا وصولك محملة بالهدايا أوما.. سيفهمان أنه لم يتح لك الوقت..

ابتسم لها وهو يقنعها:

ـ أرجوك أوما.. إذا لم تأتِ معي، ستفسدين العيد لي.

ـ لا تكن سخيفاً.. ولماذا تهتم كيف أمضي العيد؟

مد يده يلامس بقع السواد تحت عينيها، وقطب فجأة:

ـ سأقلق عليك إن بقيت وحدك هنا.. تبدين متعبة.. ويجب أن يكون لديك المزيد من المساعدة في المحل.. أراهن أنك لم تأخذي يوم راحة منذ أسابيع.

ابتعدت عن لمسة يده وأدارت له ظهرها.. اللعنة عليه.. لا تريد شفقته.. قالت بصوت متوتر:

ـ اسمع.. لا داعي للإشفاق عليّ.. فأنا لم أركز قبلاً على الميلاد، وأريد تمضيته على طريقتي الخاصة.

قال بعناد:

ـ لن أتركك هنا وحدك.. أعرفك.. فكرتك في قضاء اليوم على طريقتك تعني متابعة العمل.

ـ لا تحاول السيطرة عليّ ستان. لا شأن لك بما أعمل. ألا يمكنك أن تدعني وشأني؟

رد صارخاً وقد فقد أعصابه فجأة:

ـ لا.. لا أستطيع.. ستأتين معي إلى ڤيكتوريا أردت هذا أم لم تريديه.

نظرت إليه بحنق وردت: لن أذهب!

تصادمت عيونهما، ثم لانت قساوة عينيه، وقال:

ـ هل تعلمين أن عينيك تطلقان شرارات ذهبية عندما تكونين غاضبة؟

ضحكت وتحولت أساريره إلى التسامح:

ـ هذه من أولى الملاحظات التي لاحظتها فيك.

متجاهلاً وقفتها المتحدية، جذبها بلطف بين ذراعيه وهو يمسكها بحزم عندما حاولت مقاومته.. وتحولت عيناه إلى لون أزرق ناعم دافىء وهو يأسر عينيها.

ـ لقد حل الميلاد.. فلماذا نتخاصم.. ألا يمكن أن نعقد هدنة لبضعة أيام؟ أرجوك أوما، لنكن صديقين.

أحست بنفسها تضعف.. سيكون عيد ميلاد وحيداً لو رفضت الذهاب معه وهي تريد حقاً أن تقضي الوقت معه.. أخيراً استسلمت متذمرة:

ـ حسن جداً ستان.. سأذهب معك.

٭٭٭

٦ ـ ضيفة غير مرغوب بها

بعد ساعات كانت أوما تتصفح مجلة بينما كان ستان يقرأ صحيفة المساء.. لم تكن تعلم كيف استطاع إقناعها ورغم احتجاجها وجدت نفسها الآن في العبّارة البحرية.. استطاع إقناعها بقضاء عدة أيام معه ومع أبويه، فتركت المحل باستلام آريل التي ستتدبر أمر أية طلبات، تيري سيعمل معها في المحل، سبتولى زوجها تيري المسرّح من عمله مهمة التوصيل.. وهي التي اعتقدت أن العمل لا يستغني عنها!

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ذلك المساء عندما وصلا إلى منزل والديه في ضاحية فيكتوريا، منزل أسرة اواردز محاطٌ بالمياه من كل جانب. كان ستان قد وصف لها موقع المنزل قبل مغادرتهما فانكوفر وشرح لها أن والديه بنياه بنفسيهما منذ بضع سنوات. على أي حال، عندما دخل بسيارته إلى الطريق الداخلي، لم يكن المبنى الكبير هو الذي استرعى انتباهها وإنما عدد السيارات الكثيرة المصطفة خارجاً.

شعرت أوما بمعنوياتها تهبط وهي تلتفت إلى ستان بصمت وهو يطفىء محرك السيارة.. سألته بروية:

ـ هل لدى أبواك ضيوف؟

ـ أظن أنني ذكرت لك أن منزلهما سيكون مليئاً بالضيوف.. فهما يقيمان عدة دعوات عشاء بمناسبة يوم الميلاد.

ودار حول السيارة ليساعدها على النزول.. أحست أوما بالغليان، وخيبة أمل عميقة.. كان عليها أن تعرف أن دعوته لها ليست غيرة عليها

www.liilas.com بلا عنوان

من أن تقضي عطلة الميلاد وحدها. فهو لا يهمه أبداً كيف تمضي عيد الميلاد. لقد دعاها لترافقه، كي تسنح له فرصة لعرض أوما پايروت.

فتح لها الباب ومد يده لمساعدتها.. ومع أنها تعمدت جاهدة أن تسيطر على تعابير وجهها، إلا أنه عبس حين تأملها.

ـ هل هناك خطب ما أوما؟

خرجت من السيارة تتجاهل يده الممدودة وقالت بحدة: بالطبع لا..

تمتم بهمهمات من بين أسنانه:

ـ التواجد معك كالعمل في مصنع ديناميت! لا أعرف أبداً ما قد يشعلك.. أتمانعين إن شرحت لي؟

ـ كنت تستطيع أن تكون صادقاً معي على الأقل. إذا كنت تريدني أن أكون أوما پايروت مرة أخرى لأجلك، كان يجب أن تخبرني بدلاً من تفوّهك بذلك الكلام الهراء عن بقائي وحدي في الميلاد.

أمسك بها يضمها بحزم:

ـ لم يكن كلاماً هراء. كنت قلقا عليك، أنت لا تعتنين بنفسك كما يجب، وفكرت أن آتي بك إلى هنا.. العطلة ستكون جيدة لك.. ستتخلصين من بعض الظلال تحت عينيك.. ولم أكن أعلم أن والديّ يقيمان حفلة اليوم.

أدارت رأسها لئلا يرى دموع الألم التي غشيت عينيها.

ـ أوما.. لست مضطرة لحضور الحفلة. سنسلم على أبوي ثم تذهبين إلى غرفتك.. أنا لا أريد منك سوى أن تستريحي وأن تسترخي، وأن تتمتعي بوقتك في الأيام المقبلة.

صمتت أوما.. صحيح أنها لم تصدقه، لكنها لم تقاومه عندما ضمها إلى صدره بلطف.

ـ لا تتكدري حبيبتي.. أريد منك أن تتمتعي بميلاد سعيد.

استرخت مرتاحة بين ذراعيه عندئذٍ سألها ستان:

- هل أنت أفضل حالاً الآن؟

هزت رأسها تبتسم قليلاً، ورد الابتسامة: «فلندخل الآن..»

صعد بها العتبات القليلة المؤدية إلى الباب الذي فُتِحَ وخرجت امرأة صغيرة القامة فضية الشعر تحييهما.

- أخيراً وصلت! ظننتك ستستغل عبارة أبكر من هذه.

مع أنها كانت تخاطب ستان إلا أن عينيها كانتا تتركزان على أوما بفضول ظاهر.. واحمر وجه أوما تحت نظراتها.. وابتسمت المرأة لها:

- لا بد أنك أوما بابروت.. أنا والدة ستان، ليندسي اواردز، لكن أرجوك نادني ليندا، وسأناديك أوما.

مدت يدها وصافحت يد أوما بحماس ثم أدخلتهما معها. قالت وهي تساعد أوما بخلع معطفها:

- منذ أن اتصل ستان وأخبرنا بقدومك معه، وأنا أتحرق شوقاً لرؤيتك.. لقد سمعت الكثير عنك..

كانت ترفع صوتها ليكون مسموعاً أكثر من الأصوات الآتية من الداخل.

- ستان.. أدخل الحقائب بينما أرافق أوما لأقدمها إلى الضيوف.. لقد كانوا مهتمين مثلي بملاقاتها.

أطلقت أوما نظرة استغاثة نحو ستان، بينما بدأت أمه بالسير وهي مستمرة في الكلام كالببغاء.

قاطعها ستان بصوت متوتر:

- أمي.. لن ندخل إلى الحفلة.

بدت خيبة الأمل على وجه الأم:

- ماذا تعني..؟ بكل تأكيد ستدخلان.. الجميع يتوقع قدومكما.

وأخذت تنقل نظرها من ستان إلى أوما.

قالت أوما مترددة: ستان؟

تقدم إليها وأحاطها بذراعه.

- أمي.. أوما متعبة. سآخذها إلى غرفتها.. أية غرفة خصصت لها؟

بدت الهزيمة على السيدة اواردز، مما جعل أوما تشعر بالاستياء أكثر مما لو تابعت الجدال.. لكن الأم ابتسمت بحرارة:

- سامحيني أوما.. بالطبع أنت متعبة. لقد خصصتك بغرفة تلي غرفة ستان، سأريك إياها بينما يُدخل ستان الحقائب.

غرفة النوم التي أخذتها السيدة اواردز إليها كانت في الطابق العلوي، تطل على المياه المحيطة بالمنزل. كانت مريحة وواسعة، ومزينة بألوان جذابة من تدرجات الأزرق الشاحب مع لمسات كحلية.

بينما كانت السيدة ترشد أوما إلى الحمام في أسفل الممر، وأين يمكنها أن تجد بطانيات إضافية إذا احتاجت إليها، لم يكن بإمكانها أن تكون أكثر لطفاً ومودة.. ولا أن تشعر أوما بالذنب أكثر، وأخذت أوما انطباعاً عن المرأة بأنها ليست محبطة لأنها لن تقدم أوما بابروت لأصدقائها، بل تود تقديم صديقة ابنها.. واضح أن ليندسي اواردز أم محبة ومخلصة لابنها.

بعد أن تأكدت ليندسي اواردز أن أوما قد استقرت في غرفتها بارتياح، تحضرت للخروج.. أخيراً تمكن ضمير أوما من السيطرة عليها.. فابتسمت لمضيفتها ووافقت على الظهور في الحفلة بعد أن تغير ملابسها.. بحبور تركتها المرأة المسنة لتعود إلى الضيوف.

وصل ستان بالحقائب بعد دقائق، وبسرعة كبيرة فتحت له الباب وهي تراجع في رأسها الثياب التي أحضرتها معها. ربما أحد فساتين السهرة التي أحضرتها معها نجا من الانكماش مطوياً في الحقيبة..

ووضع ستان الحقائب على خزانة أدراج قرب السرير، ووقف قربها:

ـ أسف بخصوص أمي أوما.. أعتقد أنه كان عليّ تحذيرك لكن لا تقلقي، سأنزل لأتحدث معها. هيا استعدي أنت الآن.

بعد خمسة عشر دقيقة من هذا، كانت أوما مرتدية أحد فساتينها وسارت عبر الممر إلى السلم.. لم تكن قد ارتدت بمثل هذه السرعة منذ أيام المسرح والغناء، حيث كانت مضطرة إلى تغيير زيها بين فاصل وآخر.. ارتدت الآن فستان كوكتيل أسود، مع خصر منخفض يعطيه مظهر أزياء العشرينات من القرن العشرين.

كانت السيدة اواردز في الردهة عندما نزلت السلم. على الفور سارعت المرأة إليها تلقي نظرة رضى على فستان أوما. كان وجهها مليئاً بالابتسامات، ودست ذراعها في ذراع أوما، وقادتها إلى مؤخرة المنزل. وكانت أوما مرتبكة جداً عند وصولهما إلى غرفة الاستقبال الضخمة التي تطل على البحر. كان يمكن أن يخيب أملها لو أن أم ستان لم تستلطفها، مع أن اهتمامها ورضاها القلبيين كانا يثاربان الحرج.

أخيراً انتهى التقديم، وتركتها لبندسي مع آخر مجموعة عرفتها.. أخذت تتفحص المكان وهي تصغي إلى الأحاديث المختلفة الدائرة في الغرفة. إنها غرفة مثالية للاستقبالات، ومع وجود حوالى الثلاثين شخصاً، إلا أنها لم تكن مزدحمة.. أغصان الأشجار الميلادية كانت تزين المدفأة الحجرية حيث النار التي تبهج النفس تصطك خلف حاجز زجاجي. في الجهة الأخرى من الغرفة يوجد بيانو ضخم قديم من خشب الماهوغوني اللماع، وإلى جانبه شجرة ميلاد أغصانها الصنوبرية مزينة بأوراق الزينة الذهبية والأنوار المتعددة الألوان والمتناسقة مع أثاث الغرفة.

كانت أوما تتعجب كيف أدخلت الشجرة عبر الباب التي تصل إلى السقف بارتفاعها، عندما لاحظت أن المجموعة حولها صمتت. رفعت

رأسها لتجد عينين سوداوين باردتين تحدقان بها من وجه وسيم ناضج.. التشابه العائلي مع ستان لا مجال للغلط فيه، وعرفت على الفور أنه والده.. لكنه لم يبد أي تقبل ودي على وجهه كالذي أبدته زوجته بل كانت نظرته لها مزدرية.

ـ إذن أنت أوما پايروت الشهيرة؟

نظرت أوما إلى ما حولها فوجدت المجموعة التي كانت تقف معها قد تفرقت.. والسيدة پايروت مستغرقة بحديث عميق في طرف الغرفة.. فلعقت شفتيها متوترة ورفعت وجهها قليلاً:

ـ كان هذا اسمي الفني.. واسمي الأصلي هو أوما دوناهو.

ـ لكن اسمك الفني هو الذي سمع به كل الناس.

صمت قليلاً وعيناه تنفذان في عينيها، ثم:

ـ قال لي ابني إنك مساعدة سياسية كبرى له.

ردت بنفس لهجته:

ـ لقد طلب مني مساعدته.

ـ وما المفترض أن تكون تلك المساعدة؟

تنحنحت أوما: مرافقته إلى مناسبات مختلفة، وأن يراني الناس إلى جانبه.. وأن يعرفوا أنني «السيئة» في حياته.

وكان هذا نجيحاً غبياً، القصد منه إزعاج جوليان اواردز، لكن عندما رأت فكه يشتد عرفت أنها نجحت، وأحست بالسعادة والرضى في سرها لانتصارها عليه.

هبطت عيناه لتطوفا بحنايا جسمها بتقييم جسدي محض، ثم عاد ونظر إلى وجهها مبتسماً لرؤيته وجهها المحمر خجلاً من تحديقه بها.

ـ أجل.. أنا متأكد أنك ستعودين على ابني بالمنفعة في مجالات محددة في حياة ابني.

تنفست بحدة:

- لا أظنني أهتم كثيراً بما تعنيه سيد اواردز.

رأت ستان يدخل غرفة الجلوس مع مايكل كوبر فتحركت نحوهما فوراً، تريد الخلاص من هذا العجوز.

عندما تحركت أوما امتدت يد السيد اواردز لتمسك معصمها بقبضة مؤلمة.. وقال بصوت ناعم شرير:

- قبل أن تذهبي سأخبرك أمراً واحد بعد، أوما پايروت.. مع كل مجاهرتك بمساعدة ستان سياسياً، لا يعجبني أبداً أن يأتي ستان بمنحرفاته الصغيرات إلى منزلي تحت ستار مساعدات عمل.. هذه إهانة لي ولزوجتي.. لكن، وبما أنه جاء بك إلى هنا فلا تغتري بالظن أن هذا مهم ويعني شيئاً.. ما من مغنية سابقة لديها أي شيء تقدمه لابني على أسس دائمة.

اشتدت قبضة يده ولمعت عيناه كالزجاج البركاني الأسود ثم تركها فجأة وابتعد عنها دون أن ينظر إلى الخلف.

راقبته وهو ينضم إلى مجموعة تقف قرب الشجرة وهي مصدومة ثم نظر إليها بازدراء وفمه يلتوي بابتسامة رضى عن نفسه. تصلب شيء ما في داخلها، جوليان اواردز يقول لها بوضوح إنها ليست أهلاً لابنه.. والأنكى من هذا سخريته منها بأنها مغنية سابقة كانت مؤلمة. ارتفع رأسها قليلاً وهي تلاقي نظرة جوليان اواردز.. كانت قد اعتقدت أن احترامها لنفسها وفخرها بكونها أوما پايروت، قد تدمر.. معرفتها بإدمان باول، دمر أوهام الكمال الذي أحاط بالثنائي پايروت.. وهمُ أدركت الآن أنها آمنت به. كانت مضطرة للإيمان بهذا الوهم ليعطيها الكرامة اللازمة لتؤدي عملها.. لكن مع موت باول، وبسبب هذا الموت، توضحت حياتها على حقيقتها.. وهم مبني على أكاذيب.. فأخفت هويتها، وصدت الأسئلة لتجنب الذكريات المؤلمة.

لكن والد ستان أظهر لها للتو أن الكبرياء فيها لم يمت كله.. ربما

ليس لديها الدم الأزرق الذي يجري في عروق عائلة اواردز، وربما كان أخوها مدمناً. لكن أوما پايروت ليست قطعة تراب تحت قدم جوليان اواردز!

عندما وصل ستان إليها ابتسمت له بحرارة، ودست ذراعها بذراعه.. لقد أطلق جوليان اواردز شعوراً ما في داخلها.. إنها أوما پايروت، ولن تتظاهر بالعكس بعد اليوم. فقد كانت مغنية ممتازة ومؤدية رائعة.. وهذا فخر لها مهما حدث بعده. أعطت نفسها تماماً لبهجة الحفلة وهي ضاحكة..

في الساعات التي تلت، كانت تعرف أن ستان كان ينظر إليها بعينين محتارتين، غير قادر على فهم التغيير الذي جرى.. كانت تضحك دائماً وعيناها تلمعان حين يسألها أحد عن عملها كمغنية، لم تكن تختبيء وراء جدار الصمت كما كانت تفعل عادة، بل كانت ترد على أسئلتهم بطلاقة دون حرج.

عندما تجمع الحضور حول البيانو لغناء ترانيل الميلاد انضمت إليهم، وستان يقف إلى جانبها.. وكان من المحتم أن يطلب أحد الضيوف أغنية منفردة منها.. وللحظات قصيرة، والرفض يتأرجح فوق لسانها، رأت جوليان اواردز يراقبها، نظرته تشير بوضوح إلى أنه يتوقع رفضها.. التفتت إلى عازف البيانو وطلبت منه أن يعزف لحناً كلاسيكياً قديماً سيستعرض دون شك مدى قوة صوتها.

غرفة الاستقبال في منزل آل اواردز لا تشبه القاعة الرئيسية في فندق، ولا عزف هاوٍ على البيانو يماثل عزف الأوركسترا الكاملة.. مع ذلك بدأ سحر الغناء أمام الجمهور يتملكها من جديد، وأحست بأن الضيوف المجتمعين هم المثات اللذين كانت تغني لهم.. اختبرت أوما مرة أخرى ذلك التواصل الحميم بين المغني والجمهور.. وصدح صوتها ساحراً بالنغمات العالية وهي تصب روحها لترضي

المستمعين . . كونها مغنية محترفة لديها واجب الغناء، وكانت تشعر بلهفة استماع الضيوف المأسورين .

استقبل الصمت العميق آخر النغمات . . ثم استعاد الضيوف وعيهم، وبدؤوا بالتصفيق والهتافات . . عندئذٍ أمسك ستان بكلتا يديها وشدها نحوه قائلاً بصوت ملؤه العاطفة والحنان :

ـ كان هذا رائعاً وممتعاً أوما .

آلياً، اتجهت عيناها إلى والده وبريق الانتصار فيهما يطلق تحديه الخاص .

فيما بعد جلست إلى جانب ستان على الصوفا بينما كان يتحدث إلى مايكل ثم استسلمت للإرهاق . . لحظات الشجاعة التي ساندتها طوال الأمسية تلاشت وحلّ محلها تعب شديد .

مع أنها أمضت ساعات طويلة في متجرها خلال الأسابيع الماضية إلا أنها تمنت فجأة لو تعود مرة أخرى إلى أزهارها . إنها تجد هناك الرضى والأمان بكونها أوما دوناهو . . وهذا شيء لن تحصل عليه وهي أوما بايروت . . فأوما بايروت تعيش تشعر بالسمو إلى القمم الجبارة أمام جمهورها، مع تفجر صراخ الاستحسان والهتاف، ثم ينتهي الاستعراض، ومرة أخرى تهبط إلى الوادي . . حياة أوما دوناهو كانت فوق أرض منبسطة من الهضاب الممتدة . . ليس فيها قمم مرتفعة ولا منخفضات سحيقة .

سألها ستان بنعومة ممسكاً يدها بشدة : متعبة؟

ـ قليلاً .

ـ ستنتهي الحفلة قريباً، ولا أظن أن أحداً سيعترض إن ذهبت الآن إلى غرفتك .

جلست مستوية :

ـ أظن أن هذا ما سأفعله . . إذا كنت لا تمانع .

وقف ستان وساعدها على الوقوف : سأرافقك .

ووقف مايكل معهما :

ـ قبل أن تذهبي أوما . . أريد أن أخبرك كم تمتعت بغنائك . لم تفقدي لمستك رغم السنين .

ابتسمت أوما له : شكراً لك .

أرادت أن تنسى أوما بايروت لفترة ما . . فالليلة لأول مرة تشعر منذ سنوات طويلة بأنها أوما بايروت . . لكنها الآن تحس أنها عادت أوما دوناهو مجدداً، وتريد الذهاب إلى غرفتها، ولا تريد التفكير بالشخصية الأخرى .

قال مايكل : لا . . أظن أنني أنا من عليه أن يشكرك . . لقد خسر العالم فناناً مميزاً عندما أنهيت عملك . أكان السبب فقط موت أخيك؟

ترددت أوما وهي تحاول أن تكبح جماح نفسها بالموافقة . . لقد تحدثت كثيراً عن عملها كمغنية هذه الليلة . . أساساً هي لم تكن مرتاحة لهذا . . سنوات من تفادي الأسئلة، وتقديم الحقيقة المجزأة، لا يمكن نسيانها بسرعة، أخيراً ردت على سؤال مايكل بالنفي .

ـ كان هذا جزء من أسباب عدة . . وكان هناك عوامل أخرى جعلت من الصعب عليّ الاستمرار .

انضم ستان إلى الحديث : «وما هي؟»

ـ أوه . . عدة أشياء . . مثلاً، لم يعد لي ثقة بمديرنا ولم أرغب أن يستمر بإدارة أعمالي . وكان عليّ أن أجد وسيلة أتخلص فيها من عقدي معه، ثم هناك مشكلة أن أجد مديراً جديداً . . أنا حقاً أريد الذهاب إلى غرفتي الآن .

ـ طبعاً .

أمسك ستان ذراعها ليرافقها . . توقفا قرب البيانو وهما يهمان بالخروج ليتمنيا ليلة سعيدة للسيد والسيدة اواردز، وركزت أوما

اهتمامها على ليندسي اواردز، التي كانت تشكرها لأنها غنت لضيوفها، بينما شعرت طوال الوقت بالاستهجان بعيني زوجها.

أخيراً، وعلى مضض حولت اهتمامها إلى والد ستان.. ومدت يدها تصافحه مواجهةً نظراته بشجاعة.

ـ شكراً لك سيد اواردز على استقبالك لي، عمت مساء.

تجاهل يدها الممدودة، وقال ببرود:

ـ أنت ضيفة ابني آنسة بايروت، ولا حاجة لأن تشكريني.

وارتدّ على عقبيه وابتعد إلى الجهة الأخرى من الغرفة. ساد صمت متوتر بين الثلاثة لعدة ثوان وبدت السيدة اواردز محرجة فعلاً، ويداها ترتجفان بتوتر.

رأت أوما الاحمرار يتسلل إلى وجه ستان وهو ينظر إلى أبيه، وعضلات فكه مشدودة بقسوة.. خلال الأسابيع الأخيرة بدأت تعرف كيف يبدو عندما يكون غاضباً.. وعرفت أنه أوشك على فقدان أعصابه الآن..

تحرك باتجاه أبيه، لكن أوما أمسكت ذراعه بشدة.

ـ أنا حقاً أريد الصعود إلى غرفتي الآن.. أرجوك ستان.

نظر إليها وعيناه تستشيطان غيظاً، فكررت: أرجوك.

أخيراً، هز رأسه، وأخرجها من الغرفة.

* * *

٧ ـ رجل وحواجز

ارتقت أوما الدرج ببطء شديد يرافقها ستان. كان يرافقها الشعور بالذنب مع كل خطوة على الدرج.. كانت تعرف ما هو رأي والد ستان بها.. ولقد تعمدت إغاظته الليلة.. جذبت الاهتمام لنفسها متعمدة إلى أوما پايروت، كل هذا لأنها سمحت لجوليان أن يثير غضبها برأيه فيها كمغنية.

جعلتها نظرة مختلسة نحو ستان تعرف أنه لا زال متكدراً.. استطاعت أن تشعر بتوتر أعصابه وغضبه. لا تريد أن تصبح مصدر خلاف بين ستان ووالده.. منذ خمس سنوات، تجنبت دور أوما پايروت، لكن عندما خرجت أخيراً من الظل، تسببت بإرباك كل شيء.

أمام باب غرفتها، التفت ستان إليها، ووضع يده بلطف على ذراعها.. وللحظات نظر إلى وجهها المرتفع نحوه ثم قال:

ـ أنا مدين لك باعتذار.. أنا آسف لما حدث الآن.

هزت رأسها بعجز: «لم تكن غلطتك».

كشر وجهه، ومرر يده في شعره الأسود:

ـ لست أدري ماذا دهاه.. لكن كان عليه ألا يكلمك هكذا. إنه.. أريد منك أن تفهمي شيئاً أوما.. لن أترك هذا يؤثر في علاقتي بك، ولا أريد منك أيضاً أن تتأثري بهذا. أما بالنسبة لأبي، فسوف أتأكد من أن عليه أن لا يكون فظاً معك.. ولن يحدث هذا مجدداً.

نظرت أوما إليه وهو قريب منها، وعضت شفتها.. لقد بدأت تكتشف أن حب شخص ما ليس أمراً سهلاً.. إنها تكره جوليان

اواردز، وتكره عجرفته الوقحة وكبرياءه البغيض.. لكنها تحب ستان ولا تريد الحؤول بينه وبين والده.. وقالت له:

ـ ربما من الأفضل أن ننسى كل شيء.

ـ ماذا تعنين؟

ـ أعني.. أعني.. والدك لم يحبني.. ومن الأفضل أن أعود إلى منزلي، سآخذ العبارة العائدة إلى فانكوفر في الصباح.

أمسك رأسها:

ـ لا أوما.. لا.. لن أدعك تهربين. أبي لا يدير لي حياتي. كان التوتر موجود بيننا منذ السنوات الماضية، لأنه لا يريد أن يتقبل هذا.. لقد دعوتك إلى هنا.. ولن أسمح له أن يبعدك عني.

ترددت أوما.. ربما ما يقوله ستان هو الحقيقة، وأن علاقته بأبيه متوترة منذ وقت طويل وقبل دخولها حياته.. لكن، لا مجال للشك حول واقع أنها السبب في العداء الحالي بينهما.. لم تكن تريد حقاً أن تعود إلى منزلها، لكنها أيضاً لا تريد أن تكون محور خلاف بين أفراد العائلة.. بعد مراجعتها في ذهنها لما قاله جوليان لها، سألت فجأة:

ـ أتظنني حقاً أستطيع مساعدتك ستان؟ وأن أكون نافعة سياسياً لك؟

رأت الدهشة تقفز في عينيه الزرقاوين.. ثم ابتسم:

ـ دون أدنى شك أوما. الليلة، كان غناؤك والطريقة التي تواصلت فيها مع الحضور رائعين، وكنت فخوراً جداً بك.. بإمكانك مساعدتي بطريقة لن يقدر عليها غيرك.. ليس لأنك فقط امرأة جميلة موهوبة، بل لأن لك صورة جيدة وسمعة نظيفة، الناس معجبون بك لأنك أوما بايروت.. وهذا الإعجاب سينعكس عليّ لعلمهم أنني الرجل المهم في حياتك.

تردد قليلاً ثم أكمل:

ـ لطالما كنت أهتم بالحكم والسياسة.. عندما بدأت حياتي فكرت أنه كي أكون سياسياً ناجحاً، لن أحتاج سوى إلى الأفكار الجيدة، والقدرة والطموح لأنفذ هذه الأفكار.. لكن المسألة ليست هكذا. هناك ناخبون مسؤولون.. يعطون أصواتهم للرجل الذي يتفقون معه.. لكن، هناك الكثير الكثير غيرهم، يصوتون فقط لمظهر الرجل، أو لقدراته على إلقاء الخطابات، أو لمجرد أن شخصاً يحبونه يدعمه.. مثل أوما بايروت.. ولا زالت عندي أفكار جيدة أوما.. هناك الكثير من الأعمال التي أريدها أن تتم في هذا البلد. وأظن أن لدي الكثير أقدمه.. لكن يجب أن يتم انتخابي قبل أن أعمل أي عمل.. وهذا يعني الأصوات.. وبإمكانك مساعدتي للحصول عليها.

عضت أوما شفتها.. وقالت عاجزة: لست أدري..

كانت تعرف أنها تأثرت برأي والده، والتحدي الذي أطلقه في وجهها، وأنّ موافقتها على مساعدة ستان سببها حبها له وإرادتها في البقاء إلى جانبه.. ولكن الأكثر من هذا كله إيمانها به وبأفكاره.. لكن، لو اكتشف تود ماتسون أمرها..

قاطع ستان أفكارها:

ـ لا تشغلي بالك بالنسبة لوالدي. بإمكاني التعامل معه.. أنت هنا لبضعة أيام.. وأنا واثق أنه عندما يتعرف إليك بشكل أفضل، سيدرك مدى أهميتك لي وسيغير تصرفاته.

مع ذلك بقيت مترددة.. فأكمل:

ـ اسمعي أوما.. لا تتخذي قراراً فورياً.. وأنا سأتحدث مع أبي.. مايكل سيبقى هنا، كنا نريد أن نبحث خطة للأشهر القادمة. هناك مقعد سيشغر، ونتوقع أن يدعو رئيس الوزراء إلى انتخابات فرعية. والذي سينضم إلى النقاش، وأريدك أن تكوني هناك كذلك.. وسيظهر لك تماماً، وله أيضاً، ما يمكن لأوما بايروت أن تفعل لأجل

حملتي.

تقدم إليها، ووضع يديه على كتفيها محدقاً بوجهها. رفعت وجهها إليه تبادله النظرات.. يمكنها أن تفعل الكثير لحملته، ولا تريد إفسادها.. إذا عرفت الصحافة السبب الحقيقي لموت باول، أو اكتشف أحد أن صورتها هي مجرد كذبة، فستسبب لستان ضرراً لا يمكن إصلاحه.. ويجب أن تخبره الآن، وقبل فوات الأوان.. وتجعله يخرج من حياتها..! لن تستطيع مواجهة هذا.. ليس بعد أن عاد إليها.

ـ جريي أوما..! أرجوك!

هزت أوما برأسها موافقة.. على أي حال، في لاس فيغاس لم تكتشف الحقيقة.. فمن غير المحتمل أن يحدث هذا هنا الآن.

ابتسم ستان:

ـ فتاة طيبة! يجب أن أعود إلى الحفلة.. نامي الآن، تصبحين على خير.

* * *

وضعت أوما المجلة التي اشترتها لتوها تحت إبطها، وعادت وانضمت إلى ستان ومايكل.. بينما كانت تتقدم نحوهما لاحظت أنهما مستغرقين بحديث عميق.. وبسرعة غيرت اتجاهها، وخرجت عبر أحد أبواب العبارة إلى السطح الخارجي.

تطاير شعرها بسبب الريح فشدت معطفها فوق عنقها.. سطح المركب كان مهجوراً وبارداً، وتحركت لتجد مكاناً يحميها من الريح. مع أن الوقت لم يتجاوز اليومين من الميلاد، كان الطقس رائعاً رغم قوة الهواء اللاذعة. السماء فوق خليج الجزر كانت زرقاء صافية، ما عدا بضع غيمات مرتفعة تتحرك مع الريح.

استندت أوما على أحد الأعمدة، وعيناها تراقبان الجزر التي تمر

بها خلال رحلة العودة.. كانت العطلة مليئة بالأحداث.. مع ذلك وجدت أنها لا تريد التفكير بها، ولا بالمستقبل القريب كذلك.. لأنه مستقبل مرتبط بالماضي، مستقبل ستعود فيه إلى أن تكون أوما بابيروت.. لقد ألزمت نفسها بأن تفعل كل ما تستطيع لأجل ستان.. خلال ساعات طويلة في مكتب والده انجذبت إلى حماسه.. لكن لو أنها فقط تستطيع إكمال الطريق.

تحولت أفكارها إلى باول، وهي تكبح ترددها بأن تعود كأوما بابيروت مرة أخرى. كانت تفكر به دائماً خلال الأيام الماضية.. كانت صورته تلمع في ذهنها.. ووجهه، وصوت ضحكته، والتعبير الشقي في عينيه، عندما كان يمازحها حتى فقدان صبرها، ثم يتأملها وشرارات الغضب متطايرة من عينيها.

لم تكن قد فكرت به حقاً منذ وفاته، حاولت أن تبعد صورته عن تفكيرها.. لكنها مؤخراً وجدت نفسها تفكر بآخر أشهر من حياته.. هل افترقا عن بعضهما حقاً إلى تلك الدرجة؟ توقفا عن السكن مع بعضهما. كل له شقته، وأصدقاؤه، لكن هل أصبحا حقاً غريبين؟ كانا يشاهدان بعضهما يومياً وقت التمرين وعلى المسرح. ودائماً، يشاركان الطعام والخروج.

في ذلك الوقت كانت تعرف أنه يفكر بشيء ما.. وشعرت بفكره المشغول.. لكن، أكان هذا سببه المخدرات؟ عضت شفتها.. حزنها والألم الغامر الذي ألم بها لخيانته لها أقفل في دماغها باباً على ذكراه.. ولم تترك العنان لنفسها بالتفكير به.. لكن، مؤخراً تجدد كل الماضي أمامها مجدداً..

دون وعي منها هزت رأسها.. لا يمكن للمرء أن يكذب الوقائع. لا شك أنه كان مدمناً.. وإلا فكيف تناول جرعة كبيرة؟ كالعادة قادتها أفكارها إلى نهاية الرحلة.

رأت ستان يسير على سطح المركب متجها إليها، فنظرت إليه بارتياح.. كم هو وسيم! كانت الرياح تعبث بشعره الأسود وتزيد من حدة اللون في وجهه الأسمر، لتعطيه مظهر الرصان.

وصل إليها بسرعة:

ـ البرد قارس هنا! ماذا تفعلين؟

ابتسمت له:

ـ ليس سيئا عندما تخف الرياح.

انضم إليها على العمود: لهذا لم أتعلم التزلج.. لأنني أكره البرد! خلال الأيام القليلة الماضية، كانت أوما ترى وجها جديدا لستان. بدأت تكتشف أن واجهته المدنية التي تراها، تشوبها بعض الشوائب البشرية. قالت توبخه:

ـ لا تكن طفلا هكذا ستان.. كيف ستتمكن من العيش في «أوتاوا» وأنت غير قادر على تحمل هذا الطقس.

أحاطها بذراعيه وجذبها إليه.

ـ أعتقد أنني سأضطر لأخذ أحد معي ليدفئني.. أليس كذلك؟ أتهملك الوظيفة؟

غير واثقة من ردها عليه، ابتعدت عنه وقالت: أنا لم أشكرك بعد بشكل ملائم على دعوتك لي إلى منزل والديك.. شكرا لك.

أرخى قبضته عنها مستندا إلى العمود، لكنه أبقاها بين ذراعيه ليقول متجهما:

ـ لا تشكريني أبدا أوما. كانت الدعوة كارثة، وتعرفين هذا.. اعتقدت أننا سنمضي أياما جميلة معا، نتمتع بالرفقة سويا. لكنني لم أمض معك خمس دقائق بعد الليلة الأولى. والفضل لأبي! لم أكن أتصور أنه قد يكون جافا هكذا أبدا.

ـ أرجوك ستان، لا تقل هذا.. فبعد الليلة الأولى لم يقل شيئا لي.

ـ لا تدافعي عنه.. لم يكن مضطرا لقول شيء.

المشكلة أن ستان ووالده غير معتادين على رفض إرادتهما. كلاهما عنيدان، رجلان متعجرفان غير مستعدين للتنازل ولو قليلا.. كان ستان يتوقع من أبيه أن يرحب بها بذراعين مفتوحتين.. عندما لم يحصل ما تمناه أصبح أكثر إصرارا عليه.

أخيرا قالت أوما: «ألا يمكنك التحدث بموضوع آخر فإنه من غير المحتمل أن أرى والدك مجددا. لذا ألا يمكننا نسيان الأمر؟ أحيانا بعض الأشخاص لا ينسجمون مع بعضهم البعض.. ولا أحب أن أكون السبب في شقاق بينك وبين أبيك».

ـ ليست غلطتك.. لقد حاولت أن أكون دبلوماسيا معه في الماضي. أسأله رأيه ونصيحته وأدرك أنه من الصعب عليه أن يتقبل أنني أصبحت رجلاً وفي الثالثة والثلاثين من عمري ولم أعد طفلا تحت سيطرته.. لكنه سيفهم في النهاية أن إرادتي أفرضها دون أن يمليها عليّ أحد!

ابتعد نحو السياج وهو ينظر إلى الماء.. راقبته أوما مفكرة.. أحست بأنها فجرت غضبه وشعرت كم هو مجروح ومرتبك من تصرفات أبيه.. وضعه مع والديه في الأيام الأخيرة، جعلها تدرك أن كليهما أفسدا ابنهما دلالا. مال والده ومحبة أمه اجتمعا ليمهدا له الطريق في حياته.. فدوما كان يحصل على مبتغاه ومع موافقة والديه.

تنهدت أوما.. أرادها ستان لسبب ما، ولم يستطع إقناع أبيه بها.. من الغريب التفكير أن شخصا مثل ستان، عاش حياته دون أن يعرف الفشل والحرمان وخيبة الأمل.

التفت فجأة وتلاقت عيونهما.. لبقول:

ـ لا تشغلي بالك به أوما.. لدي إيمان أنه سيعترف في النهاية بأنه على خطأ. قد لا يفهم الآن. لكن عندما يرى بنفسه كم أنت مهمة

بالنسبة لي. تعالي، دعينا نعود إلى الداخل حيث الدفء. ستجد مايكل هناك لنتناول معاً فنجان قهوة.

دست يدها في ذراعه، ومشى يقودها إلى الداخل.. أحست أنه يبالغ بالتفاؤل أن والده سيتغير، لكنها امتنعت عن إجابته.. هكذا يرى ستان الحياة: المشاكل وُجدَت ليكون لها حلول، والتحديات تظهر ليُرَد عليها.. نظرت إليه وحسدته على ثقته بنفسه، بينما هي دائما كانت تهرب من مشاكلها وتختبيء منها عوضاً عن مواجهتها، مثلما تفعل الآن.. وأبعدت الفكرة عنها.

كان مايكل في المقهى عندما وصلا. وجلست أوما معه بينما اشترى ستان القهوة.. استقبلها مايكل بابتسامة حارة، وسألها:

ـ هل الطقس بارد في الخارج؟

ـ ليس سيئاً.

وجّه نظره إلى ستان:

ـ ألا زال ممتعضاً من والده؟

ـ لست واثقة.. قال إنه يعتقد بأن والده سيفهم فيما بعد.

ـ ألا توافقينه الرأي؟

ـ لست أدري.. الأمر فقط.. ماذا لو لم يفهم؟

عندما رأى التعبير المتجهم في وجهها أمسك بيدها يؤازرها مشجعاً:

ـ وماذا في الأمر؟ عادة مثل هذه المشاكل لها طريقة خاصة تحل نفسها بنفسها. فلا تدعيها تكدرك.

ـ يعتقد ستان أن أباه عندما يرى مدى قدرتي على مساعدته في حملته سيستقبلني.. ولست واثقة من هذا. ماذا لو لم أستطع مساعدته كثيراً؟ حتى ولو فعلت، فهذا لا يعني أن السيد اواردز سوف يحبني بشكل أفضل. ما كان على ستان أن يأتي بي معه. أنا لا أحب أن أكون

سبباً لخلاف عائلي، ومن الأفضل لو أن ستان أبقاني بعيدة.

هز مايكل رأسه:

ـ لا.. ربما يكون ستان متفائلاً أكثر من اللازم.. لكنك لن تستطيعي تركه.. إنه يحتاج إليك وليس للحملة فقط.

قبل أن تستوضح سؤاله، عاد ستان مع القهوة. جلسوا يحتسونها ويتحدثون لعدة دقائق، وبدا مايكل مصمماً على إبعاد تفكيرهما عن جوليان اواردز.. وسرعان ما أضحكهما بروايته عن حادثة حصلت معه.

تراجعت أوما في مقعدها بعد الانتهاء وابتسامة حقيقية لا تزال على شفتيها.. كانت تعي وجود ستان وتشعر برجولته، ذراعه فوق ظهر مقعدها.

لمس ستان ذراعها فقفزت مجفلة:

ـ أوه.. أنا آسفة.

شعرت باحمرار وجنتيها وهي تعي أن الرجلين ينظران إليها. قالت برباطة جأش:

ـ أعتقد أنني كنت شاردة الذهن.. كنت.. أفكر بالمتجر.. هل سألتني شيئاً؟

رد عليها مايكل:

ـ كنت أتساءل عن البرنامج التلفزيوني الطويل الذي سيُعرض في شهر شباط. سيحضره ستان بالطبع ليجيب على الاتصالات الهاتفية.. إن تمكنتِ من تقديم عرض ما كمساعدة سيكون هذا مدعاة فخر لنا. سيعيد اسمك إلى أذهان الجماهير.. وهذا ما سيساعد ستان كثيراً.. ولن يكون هناك مشكلة في إدخالك في البرنامج.. فهم سيعجبهم جداً استضافة فنانة عظيمة مثلك.

كانت أوما تهز رأسها قبل أن ينهي كلامه.

ـ ظننت أن ستان شرح لك الأمر.. أنا لن أشارك بعمل فني، حتى ولو كان لأعمال خيرية.. أنا آسفة مايكل لأنني ببساطة لا أستطيع.

عقد حاجبيه عابساً، وسأل:

ـ لماذا؟ اسمعي أوما، سمعتك تغنين في حفلة عائلة ستان وكنت عظيمة، مع شيء من التدريب، سوف تشعلين الجماهير.. وأنت قادرة تماماً على هذا.

قالت بحدة:

ـ لم أقل إنني لست قادرة.. بل قلت إنني لا أستطيع.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي تتلقى فيها اقتراحاً بأن تقدم عرضاً خلال الأيام القليلة الماضية، وأزعجها أن مايكل أثار الموضوع ثانية.

ـ لقد ناقشنا كيفية مساعدتي.. وقلت إنني سوف أرافق ستان إلى المناسبات واللقاءات، وسألقي خطابات إذا اضطررت، لكنني ظننتك فهمت أنني لا أستطيع أن أغني.

انضم ستان إلى الحديث:

ـ تستمرين في القول «لا أستطيع» وقلت هذا من قبل، فلماذا لا تستطيعين؟

أخذت نفساً عميقاً وقالت شارحة الأمر:

ـ أنا لا زلت مرتبطة بعقد.

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني.. أن تود مانسون لا زال يحتفظ بعقدي في حوزته. ولا أستطيع الموافقة على ظهور فني مهني دون موافقته.. ولا يهم إن كنت أتقاضى أجراً أم لا، لا أستطيع أن أغني إلى أن يعطيني موافقته.

الآن عرف ستان.. عرف أنها لن تظهر فنياً مرة أخرى ولماذا.

قال مايكل:

ـ حسن جداً.. هذه لن تكون مشكلة.. اتصلي بمانسون هذا،

واطلبي منه الإذن.

ردت ساخطة: الأمر ليس بهذه البساطة مايكل.. تود لن يسمح لي دون أن يستفيد، فهو لم يكن راغباً بتركي العمل.. والطريقة الوحيدة للسماح لي بهذا هو أن أقوم بعمل مماثل له، وهذا يعني عودتي إلى لاس فيغاس مرة أخرى.. وأنا لا أريد العودة إلى الغناء.

أخذت فنجان قهوتها متعمدة، وارتشفته كله.. إشارة واضحة إلى أن الحديث انتهى. ولم يتبس ستان ببنت شفة.. فهل خاب أمله؟ أيحاول إيجاد طريقة للخلاص منها بعد أن عرف أنها لن تستطيع الغناء؟

كسر ستان الصمت المطبق وهم مجتمعون حول الطاولة:

ـ أوما.. أليس هناك طريقة تستطيعين فيها الخلاص من ذلك العقد مع مانسون؟

وضعت أوما فنجانها بحدة:

ـ أنت لا تعرف تود مانسون، أما أنا فأعرفه.. طريقة الخلاص الوحيدة موجودة معه وإلى جانبه.. هذا ما أستطيع قوله لك. إنه يمتلك أوما پايروت، وله مطلق السيطرة على حياتها الفنية.

سألها ستان:

ـ وماذا عن شرائه؟ وإلى أية مدة يبقى العقد صالحاً؟

ـ كان عقداً لسبع سنوات.. وقعته قبل موت باول بأمد قصير. وهذا يعني أنه لن ينتهي مفعوله قبل سنتين. أما بالنسبة للشراء، فهو لن يوافق أبداً. حتى ولو كان لغير سبب سوى أنني تركته وهذا ما لم يعجبه إطلاقاً.

قبل أن يرد أحد من الرجلين، أعلن مكبر الصوت أن العبارة تقترب من المرفأ.. جمعت أوما أغراضها ووقفت تنظر إلى الرجلين. ثم قالت: أنا آسفة.. أرغب حقاً في المساعدة.. لكنني لا أستطيع في هذا المجال.. وأنا لا أريد العودة إلى الغناء.

لكن هل سيفهم؟

وقف ستان يضع ذراعه حول خصرها.

ـ أفهم هذا أوما.. لكن على الأقل يجب أن أطلع على هذا العقد؟

هزت كتفيها ثم أطرقت مفكرة.. سيضيع وقته وتشك في أن يصدقها لو أقرت له بهذا.. مع أنه قال إنه فهمها. وربما لن ينزعج كما تظن عندما يطلع على العقد ويتأكد من أنه لا يمكن فسخه.

٠٠٠

استيقظت أوما مجفلة.. وشعرت بضيق تنفسها، وبضربات قلبها خافقة بشدة. كانت غرفة النوم غارقة في الظلام. ما عدا نور ضئيل من ساعة الراديو الرقمية تسجل الثالثة وسبعة وثلاثين دقيقة، صباحا.. كانت مبللة بالعرق.

جلست وأضاءت المصباح.. بماذا كانت تحلم؟ شيء ما عن باول.. وحاولت أن تركز تفكيرها لكن التذكر ابتعد عنها وكأنه سمكة هاربة. دفعت الغطاء بعيداً عنها، وخرجت من السرير.. لن تقدر على النوم بعد هذا. وهي لم تتمكن يوما من النوم بعد كابوس حلمت به.

في الحمام، أدارت الماء وملأت المغطس، وملأ البخار الحمام ودخلت المغطس مستلقية إلى الوراء، وأغمضت عينيها.

تراءت لها صورة ستان.. في الشهر الذي مر بعد الميلاد ترسخت علاقتهما.. الجدال الذي شاب هذه العلاقة قبل الميلاد توقف.. وأصبح ستان يعاملها بمحبة مع أنها لم تكن قد وفت بعد بأي وعد لمساعدته.. يوم عادا إلى فانكوفر، اضطرت إلى قضاء الأسبوع الذي تلاه وهي تعمل في المتجر.. فالأسبوع الذي مر ما بين الميلاد ورأس السنة كان من أكثر الأيام انشغالا لها.

سرعان ما حل رأس السنة الجديدة، مرت معه بفترة من الراحة.. ثم أصيبت بأنفلونزا، مع أنها لم تكن خطيرة إلا أنها اضطرت إلى قضاء

العشرة أيام الأوائل في الفراش، تبع هذا أسبوع آخر من العمل.

كان ستان خائب الأمل إلا أنه كان اللطف بعينه في خلال ملازمتها الفراش. كان يزورها كلما سمح له برنامجه الحافل بالعمل، ويمطرها بالهدايا الصغيرة.. حتى عندما لم يستطع إيجاد وسيلة لإخراجها من العقد أخذ يؤكد لها أنها حتى لو لم تستطع الغناء، فهي مساهمة نفيسة في حملته. وكانت مخطئة في الشك به. بكت قليلاً لهذا مع حالتها الضعيفة.. ومع ذلك أيضاً لم تستطع إجبار نفسها على قول الحقيقة حول حياتها وموت باول.. ولم يعد ستان يذكر جوليان اواردز، وكان من الواضح أنه لم يكن يهتم بأنها سبب خلافه مع والده.

إذن.. لماذا تشعر بمثل هذا القلق؟

مع مرور الأيام، ازداد تخوفها من العودة إلى الظهور العلني أمام الناس.. وأكثر من هذا اعترافها لنفسها أن مصدر تعاستها، بكل بساطة، هو أن ستان سعيد جداً.. كان يفيض سعادة وكلما رأتها عيناه تضيئان سعادة.. بينما كانت معنوياتها مستمرة بالهبوط.. لقد حصل على ما يريد، حصل على أوما بايروت في فريق عمله.. لكن أين يترك هذا أوما دوناهو؟

لقد كانت غبية لتقع في حبه! تريده أن يحبها هي. لا اسمها.. لا الشبح الذي كانته مرة. تريده أن يحبها، لنفسها الحقيقية أوما دوناهو. وليس المغنية أوما بايروت.

ذرفت قطرات من الدمع في ماء الحمام الساكن.. تحركت أوما لتخرج من المغطس وتلف منشفة حولها.. وما يضير لو أنه يفضل المغنية على بائعة الزهور؟ من غير المحتمل، بالرغم من عرضه، أن يكون لأي منهما مكان في حياته متى وصل «أوتاوا».. ولقد وعدته أن تساعده ليصل إلى هناك.

٠٠٠

٨ ـ من هو المجنون؟

وصلت أوما من المحل إلى منزلها متأخرة.. كانت الآنسة أديسون قد اتصلت بها وسألتها ما إذا كانت بخير للخروج مع ستان لحضور حفل عشاء هذا المساء.. فأكدت أوما لها أنها بخير، ثم تناست الموعد وهي تتابع العمل على جهاز الحسابات، تحضيراً للمحاسب الذي استخدمته مؤخراً.. ولم تتذكر الموعد إلا عند مغادرتها المتجر.

ذهبت مباشرة إلى الحمام فور وصولها إلى الشقة وابتلعت بسرعة حبتين من الأسبرين قبل أن تخلع ملابسها وتدخل تحت رشاش الماء.. سيصل ستان ويصطحبها بعد أقل من ربع ساعة.. وهي دائماً تحرص على أن تكون جاهزة قبل وصوله.. لكن، الليلة، بدا هذا من المستحيل.

كانت بينها وبين نفسها مشتاقة إلى النوم في سريرها طلباً للراحة.. يا إلهي كم هي متعبة! شعرت بصداع مؤلم، وآخر ما كانت تتمناه هو الخروج مع ستان الليلة.. رن جرس الباب بينما كانت تخرج من تحت رشاش الماء الساخن.. اللعنة عليه.. لماذا لا يتأخر أبداً؟ بسرعة لبست رداءها، وربطته وهي تقطع غرفة الجلوس لترد على رنين جرس الباب.. فتحته وصاحت به قبل أن يحييها:

ـ لا تقل شيئاً.. أعرف أنني متأخرة!

طافت عيناه بالروب، مع نظرة حيرة خفيفة لسماعه لهجته الحادة،

وقال ممازحاً وهو يبتسم، آملاً أن يغير مزاجها:

- لم أتوقع منك الذهاب بهذه الثياب.

أفسحت له الطريق ليدخل، وسألته بلهجة متذمرة ما إذا كان يريد شراباً بينما ترتدي ثيابها.

التفت إليها وهز رأسه متفحصاً وجهها بعجب. فأشاحت وجهها بسرعة لتدخل إلى المطبخ وتحضر له كوباً من العصير. كانت تسكب العصير عندما وصل إلى المطبخ ووقف خلفها مستنداً على الباب.. ولاحظ أنها تصب العصير بارتجاف ظاهر على يديها.

تقدم من خلفها وأخذ الإبريق منها بلطف، أدارها إليه واضعاً يديه على كتفيها وعيناه تطوفان بالإرهاق البادي على وجهها:

- تبدين مريعة.. لماذا قلت للآنسة أديسون إنك قادرة على الخروج معي الليلة، بينما من الواضح أنك لم تستعيدي قوتك بعد من الانفلونزا؟

- لقد شفيت.. وعدت إلى مزاولة العمل منذ أسبوع.

جذبت نفسها من قبضته متضايقة من تعليقه على مظهرها. ورفعت شعرها عن وجنتيها:

- لم تسنح لي الفرصة بعد لوضع الماكياج، وأشعر بصداع خفيف. هذا كل ما في الأمر.. أخذت بعض الأسبرين، وسأكون جاهزة بعد دقائق.

قال ينظر إليها بصراحة:

- ربما علينا أن نلغي موعد الليلة، تبدين وكأنك بحاجة إلى نوم مبكر.. وسيفهم الجميع بأنك متوعكة.

- سأكون على ما يرام.

صممت فجأة أن تكون بخير.. يجب أن تبدأ بمساعدته في وقت ما، ولا تريد التأخر أكثر من هذا.. تركته يحتسي شرابه في غرفة

الجلوس وذهبت إلى غرفتها وأقفلت الباب وراءها. . أخذت زجاجة العطر من على طاولة الزينة، وتعطرت بها قبل أن ترتدي ملابسها. . ما إن انتهت من استعمال العطر حتى هاجمها دوار قوي. . تمسكت بطاولة الزينة تهدىء نفسها، فأوقعت زجاجة العطر فانكسرت بصوت قوي.

انفتح باب غرفة نومها فجأة ودخل ستان بسرعة:

ـ ما الذي حدث؟ هل وقعت؟

هزت رأسها بحذر. . لقد توقفت الجدران عن الدوران حولها. لكنها كانت لا تزال تشعر وكأنه لا روح لها. . قطع الغرفة وأمسك يدها، وتمكنت من إجابته.

ـ لقد أوقعت الزجاجة. . أنا بخير.

لكنها لم تكن تعي أن شحوب لونها، وبرودة يديها كانا يكذبان قولها.

التفت ذراعه حول خصرها تقودها إلى السرير:

ـ من الأفضل أن تستلقي قليلاً. .

ووضعها بلطف، وجلس إلى جانبها وأرجع شعرها إلى الوراء عن جبينها.

ـ لا يبدو أن حرارتك مرتفعة. . متى تناولت طعاماً آخر مرة؟

أبعدت عينيها عن عينيه. . هل تناولت الغداء اليوم؟ أدركت أنها لا تذكر، ولكن الظاهر بأنها لم تتناوله. . فلا عجب إذن أن تصاب بالدوار. . لم تأكل سوى التوست والقهوة عند الفطور صباحاً.

نظرت إلى وجه ستان الصارم والغاضب.

ـ هل أكلت شيئاً اليوم؟ اللعنة أوما، لماذا لا تهتمين بصحتك أكثر؟ ما كان يجب أن تعودي إلى العمل بعد!

لامس بأصبعه عظام عنقها.

ـ انظري كم أنت نحيلة! آخر ما تحتاجين إليه هو نسيان وجبات الطعام. . خاصة أنك تجاوزت لتوك مرضك.

كانت لمسته ترسل موجات مجنونة فيها، وتحركت بتلق. . مع أنها كانت تريده أن يشعر بها، تريده أن يضمها، وأن يواسيها. عرفت أنه لاحظ تسارع نبضاتها. فبدأ اللون الأحمر البطيء يتصاعد إلى وجهها. . حاولت أن تتظاهر أنها لم تتأثر، تتظاهر أنها لا تعرف أنه أحس بها وبمشاعرها. لكنها لم تستطع النظر إليه، وأخيراً أغمضت رموشها لتخفي عينيها:

ـ سأكون بخير. . لقد أصابني دوار للحظة فقط.

لكنها كانت لا تزال دانخة، ضعيفة. وكأن عظامها أصبحت مطاطاً. . لكن هذا لا علاقة له أبداً بنقص الطعام أو بمرضها الأخير.

مرر أصابعه على وجهها:

ـ أوما. . انظري إليّ.

تنفست بحدة، متجاهلة طلبه. فارتفعت يده تداعب كتفها، ولم تكن مستعدة أبداً لصدمة الكهرباء التي سرت في جسمها، وارتفعت عيناها إلى وجهه. . إنه يريدها أيضاً. . هذا أمر مكتوب بوضوح وكأنه العنوان الرئيسي على الصفحة الأولى لصحيفة في عينيه، وفي فمه المتجهم وفي الحمرة التي لطخت وجنتيه.

أدنى وجهه منها. . فأدارت وجهها، تهمس:

ـ لا. . ستان.

لكن أطرافها لم تُطِعْ أوامر دماغها. . فارتفعت ذراعاها لتدفعه عنها. . لكن بدلاً من دفعه، التفت أصابعها في خصلات شعره الأسود الحريري. . رفع رأسه إليها وعيناه تحرقان عينيها:

ـ أوما. . هذا أمر كان محتماً بيننا منذ أول مرة عانقتك فيها.

حلقت بمشاعرها، وأخذت تقاومها مثل سباح غير ماهر عَلِق وسط

التيار.. وأصبحت غير قادرة على التفكير.. بل سيطرت عليها المشاعر الجياشة.. وغدا كل شيء كالحلم.

أفلتت منها آهة ناعمة وهو يبتعد عنها ويقف. أسرت عيناه عينيها لحظة، ثم قال:

ـ أنت تريدينني أوما.. وأنا أريدك.

نظرت إليه كالمسحورة، تتفحصه وهو واقف أمامها.. عالقة في سحر شغف شلها.. لكن ما هي إلا لحظات حتى صدمتها حقيقة ما حصل، وما سيحصل.. بحركة سريعة، تدحرجت على السرير حتى طرفه البعيد.. ثم قالت هامسة، خائفة من هذا الالتزام وما قد يفعله بها:

ـ لا.. ستان. لا تستطيع فعل هذا! لا أريد حدوثه.

للحظة، بدت عليه الحيرة، ثم فجأة لان وجهه وسأل بلطف:

لماذا؟

تقدم منها خطوة، ووجدت نفسها مسمرة في مكانها، وقال:

ـ لا أظنك تعرفين ما تريدين أوما.. هذا ما كان يعتمل بيننا منذ أسابيع، فلا تحاولي التظاهر بالعكس..

قطع المسافة بينهما بخطوة واحدة، وشدها إليه.. حاولت المقاومة.. تقاوم نفسها بقدر ما تقاومه..

قالت: أرجوك ابتعد فلم يسبق أن عاشرت رجلاً.

ما إن سمع كلماتها حتى انتفض وارتدّ إلى الوراء ثم قال: تعالي إلى غرفة الجلوس.. من الأفضل أن نتكلم.

وترك الغرفة.

كان ستان ينتظرها قرب النافذة عندما دخلت إلى غرفة الجلوس.. رأت كأس العصير في يده، ارتشف منه رشفة ثم أشار إليها

بالجلوس.. فجلست متوترة.

قال لها برقة:

ـ أترغبين بشرب عصير ما؟

أحست ببرد شديد رغم دفء الشقة، فحزمت الروب حولها بقوة.

ـ لماذا لم تخبريني أن لا خبرة لك مع الرجال؟

بدأت تشعر بالسخط يتصاعد في نفسها.. ليس له الحق بأن يغضب لهذا؟ إنه يصورها وكأنها معاقة اجتماعياً.

نظرت إليه بتمرد.. فقال بحدة:

ـ يا إلهي.. كم عمرك؟ خمسة وعشرون أم ستة وعشرون.. أنا لم أكن أشك أبداً..

ردت بسخط:

ـ آسفة لأنني لم أكن كما توقعت.. لكن هذا أمر لا يمكن بحثه كأي حديث عابر.

ابتلع ريقه بصوت مسموع:

ـ آسف.. أعتقد أنك متضايقة.. وأنا كذلك.. يجب أن تعرفي أنني ما كنت لأحاول..

قاطعته بغضب:

ـ اسمع.. لقد أوضحت وجهة نظرك ستان.. وأنا آسفة لأن قلة خبرتي قد قطعت متعتك.. لكن لا تقلق، فلن يحدث هذا مرة أخرى..

قاطعها بصوت كالسوط:

ـ اخرسي أوما..! ليس الوقت وقت ثورة غضب مجنون!

ـ مجنون!

ـ أجل.. مجنون.. أي شخص يحيط نفسه بمثل هذه الأسرار، كما تفعلين، لا بد أن يكون فيه عيب.. الحصول على معلومات منك

مثل خلع الأسنان! كل ما أعرفه عنك حاربت لأجده بنفسي.. حسن جداً.. هذا يكفي!

سحبت نفساً عميقاً لتكبت دموعها.. إنها تكره ستان اواردز. كيف يجرؤ على القول بأنها مجنونة؟ جعلت وجهها يخلو من أي تعبير، عيناها فقط تلمعان.. سنريه من هو المجنون!

تفحص ستان وجهها الشاحب الهادىء، ثم قال ما صعقها:

ـ هل تتزوجينني؟

ـ ماذا قلت؟!!

ـ قلت هل تتزوجينني؟

هزّت رأسها:

ـ ستان.. عمّ تتكلم؟

تقدم إلى الطاولة يسكب المزيد من العصير:

ـ سمعتني.

ـ لماذا؟

ـ بل لماذا لا أطلب منك الزواج؟

ـ لن أتزوجك ستان.. ولا شك أنك قد فقدت عقلك!

ـ لماذا ترفضين؟ ألست معجبة بي؟

صرّت على أسنانها تحاول احتواء غضبها:

ـ أظنك سخيفاً.. المرء لا يتزوج لمجرد الإعجاب بشخص ما، قل لي أتعرض علي الزواج من أجل مستقبلك؟ ألا تفكر في غير مستقبلك أبداً؟

نظر إليها لحظة، ثم تلاشت كل قسوة من وجهه فجأة.. بدا لها أكبر سناً، قسمات وجهه محفورة بخطوط التعب.. وقال بهدوء:

ـ ليس مستقبلي فقط.. فأنا أفكر فيك أيضاً.

تقدم منها ووضع يديه بلطف على كتفيها.. التغيير المفاجىء في

مزاجه، أفقدها توازنها.. وذهب بعدائيتها، فلم تقاومه عندما ضمها إليه، واستراح رأسها آلياً على صدره.

قال هامساً:

ـ أوما.. قلت إنني لا أعرف شيئاً عنك. لكنك مخطئة.. لقد راقبتك خلال الأسابيع الماضية.. راقبتك تختنقين نفسك لأنك لا تستطيعين مواجهة ما حصل منذ خمس سنوات.. ولا أظنك قادرة على تحمل المزيد، وحدك.. قد تحاولين، أنا لا أقول العكس..

أستدت نفسها عليه.. إنه على حق.. ونعرف هذا، من بين كل الناس:

ـ حسناً.. إذا كنت واثقاً.. أعتقد.. بإمكاننا أن نتزوج. لكن، لسنا مضطرين للاستعجال.

ـ الاستعجال هو أفضل الطرق أوما.. الانتخابات الفرعية ستعلن في أي يوم ابتداءً من اليوم، ولن نستطيع الزواج فجأة وفي خضم الحملة.. سيبدو هذا سخيفاً.. سنتزوج في أسرع وقت ممكن.

قالت هامسة:

ـ أجل.. أعتقد أننا يجب أن نتزوج قبل الانتخابات.

ـ عظيم.. سأتصل بالمطار، لأرى إذا كان بمقدورنا السفر الليلة إلى «رينو» أو «فيغاس» أو صباح الغد.

ـ لماذا؟ لماذا لا نتزوج هنا؟

لا تريد الذهاب إلى نيفادا.. ليس حيث كانت أوما بايروت.

ـ سيبدو الأمر أفضل هكذا.. وكأننا هربنا معاً.. وستعتقد الصحافة أن ما جرى هو أمر رومانسي.. اذهبي واصنعي لنا بعض القهوة، بينما أجري بعض المكالمات الهاتفية. وأحضر ما نأكله.

بعد ساعات وصلا إلى لاس فيغاس وعند خروجهما من الطائرة أخذت أوما تفكر. منذ موافقتها على طلب ستان بالزواج، كانت عالقة

في خدر لا مبالي.. تصرفاتها أوتوماتيكية. افترضت أن ما يعتريها ليس إلا صدمة. فهي لا تفكر حتى، دماغها مرتبك وملبد كالضباب.. بطريقة ما تمكنت من توضيب حقيبتها، لكنها تركت كل ما تبقى لستان.

سارت عبر بوابة الخروج مع ستان، أنوار مدرج الطائرات الملتمعة عن بعد بدأت توقظها من سباتها وتعيدها إلى وعيها.. بعد ساعات ستكون متزوجة.. زوجة لستان.. أحست بقشعريرة ليس سببها الهواء البارد للساعات الأولى للفجر في الصحراء.. وبدأت تذعر وترتجف. على الفور أمسكها ستان كي لا تتهاوى بمرفقها وهما يتابعان طريقهما في الخروج.

توقفت فجأة وقد وصلا إلى مدخل المبنى: ستان..

شد على مرفقها بنفاذ صبر:

- هيا بنا الآن أوما.. نحن نقف وسط الطريق.

صاحت يائسة:

- لا ستان.. أرجوك! لا أستطيع.. لم يفت الأوان بعد. لسنا مضطرين لهذا.

تذمر بنفاذ صبر:

- لقد بحثنا الأمر مراراً قبل الآن أوما.. ولقد فات الأوان كثيراً..

ودفعها إلى الباب.. تحت الأنوار البيضاء، كان وجهها رمادي اللون، عيناها بركتان مرتبكتان واسعتان.. أكمل بصوت ألطف:

- ستغدين أفضل حالاً بعد أن ترتاحي وتأكلي قليلاً من الطعام. سنأخذ سيارة ونذهب فوراً إلى الفندق.

وشدها معه حتى وصلا إلى الصالون وأجلسها في مقعد ونظر إليها مقطباً:

- انتظري هنا لأحضر الحقائب وأضعها في السيارة.. وتوقفي عن

القلق.. سيكون كل شيء على ما يرام.

ابتسم لها مشجعاً وابتعد.

استندت أوما بتراخي على المقعد، وأغمضت عينيها.. قاعة الاستقبال كانت مزدحمة حتى في مثل هذه الساعة.. تضج بالحركة والمسافرين. لو أن الأمر فقط يتم كما قال ستان، وكل شيء يكون على ما يرام. لن تستطيع التراجع الآن، لم تكن تريد أن تجرح مشاعره، وستفعل إن رفضت التعاون الآن.. بطريقة ما ستعمل على إنجاح زواجها.. مهما كلف الأمر.

* * *

٩ ـ القليل من الحقيقة

سمعت أوما وقع أقدام تقترب منها وسط أصوات المطار.. مضى على غياب ستان عدة دقائق، ولا بد أنه رجع.. فتحت عينيها وجلست مستوية، مصممة على أن تبعد شكوكها عنها، وأن تنسى مخاوفها من المستقبل.

ـ أوما.. أوما پايروت..! اعتقدت أنك أنت!

رفرفت عينيها بشدة وسرعة.. مع أنها هنا في لاس فيغاس لا سبب أبداً يدعوها إلى أن تتوقع رؤية تود مانسون.. مع ذلك لم تندهش لرؤيته يقف أمامها.. للحظات حدقت به مشدوهة، تتساءل لماذا لا تشعر إلا باللامبالاة.

ـ «مرحباً تود». وتابعت تفحصه.. لقد تغير قليلاً، لكنه لا يزال ذلك الرجل النحيل بقسماته الحادة، مثلما كان منذ خمس سنوات.. لاحظت أن بذلته عتيقة الطراز، وأن أكمام قميصه مهترئة قليلاً.. ولطالما تفاخر تود بمجموعة ملابسه، وأحذيته المصنوعة باليد. ربما سقط بعد أيام صعبة.. وتساءلت لماذا لم تعطها هذه الفكرة أي رضى. لا بد أن كراهيتها خفت خلال السنوات، أو خفت قليلاً وهي الآن لا تحس سوى بثورة خفيفة ضد مديرها السابق.

ابتسم تود لها، وجلس على المقعد بجوارها.

ـ ما الذي جاء بك إلى فيغاس؟ أنت لم تأت لتفتشي عني؟ هل أدركت أخيراً أهمية ما تخليت عنه يوم هربت؟

مال نحوها يدرس وجهها، وكانت أكثر حكمة من أن تذكر ستان

له . . وقالت كاذبة :

ـ أنا هنا في إجازة .

بدأ تود يضحك :

ـ أوما پايروت في إجازة في لاس فيغاس؟ هذا غير متوقع حبيبتي . . بكل تأكيد يمكنك أن تقولي لي ماذا تفعلين هنا؟ على أي حال ، نحن صديقان قديمان . . ولطالما فكرت بك كأخت لي !

نظرت إليه مذهولةً . . كيف يمكن لإنسان أن ينطق بكذبة مكشوفة كهذه؟ هي وباول لم يكونا بالنسبة له سوى مصدر للمال . . وتأكدت من الأمر يوم أخفى عنها واقع إدمان باول ، وكل شيء آخر . . ترك باول يموت بدلاً من أن يعرض تلك الصورة الثمينة التي رسمها بدقة لهما وجنى ثمارها لوحده للحظة . . أحست بالغثيان وبتقلص معدتها ما إن تحركت كراهية هذا الرجل مرة أخرى في أعماقها . . وقفت فجأة غير قادرة على تحمل صحبته لحظة أخرى .

ـ لا وقت لدي للخوض في مثل هذا الحديث تود . . وداعاً !

وقف بدوره ، وأمسك ذراعها ليبقيها بقربه .

ـ لا تديري ظهرك لي حبي . . مهما كان الذي جاء بك إلى هنا ، ألم تشعري أنه ما كان عليك أن تتركي؟ لكن الوقت غير متأخر بعد . . بإمكان أوما پايروت أن تعود إلى المسرح . . كمغنية منفردة ستصبحين أكثر شهرة مما كان الثنائي پايروت .

داعب أصبعه معصمها ، وابتسم لها مشجعاً . تصاعد غضبها . . فاجتذبت ذراعها منه وهي تقول بلهجة آمرة :

ـ لا تلمسني أبداً . . حتى لو أردت العودة ، وهذا ما لا أريده ، فلن أعود إلى المسرح . . فلو غنيت لكنت مديري . . ظننت نفسك حذقاً حين جعلتني وباول أوقع العقد . . وامتلكت به الثنائي پايروت لحماً ودماً وروحاً . . لكنك لا تستطيع امتلاك شيء لا وجود له . . أليس

كذلك؟ لم يعد لباول بايروت وجود.. أنت لم تفهم أنني أفضل التخلي عن مستقبلي الفني على أن يكون لي علاقة مع جرذ قذر مثلك.

ارتجفت عضلة في فك تود، وتحولت عيناه الرماديتان إلى صخر:

ـ طالما كنت سليطة اللسان. هل نسيت أنني أعرف كل ما هو مدفون؟ يجب أن تكوني أكثر حذراً.. مع أنني سأسامحك هذه المرة.. لكن تذكري.. أوما بايروت لا تستطيع الغناء إلا إذا قلت أنا إنها تستطيع.. أفهمت هذا؟

ـ من المستحيل أن أنسى.

رأت ستان يتقدم نحوهما.. نظرت إلى تود نظرة اشمئزاز نارية، ثم هرعت نحو ستان.. حين وصلت إليه سألت بسرعة:

ـ هل أنت على استعداد للذهاب؟

عرفت أوما أن وجهها شديد التورد، وأن عينيها تلمعان بما تبقى فيهما من غضب، وعرفت أن ستان لاحظ هذا.. وتحركت عيناه نحو تود، الذي لا زال واقفاً حيث كان معها منذ لحظات:

ـ هل من خطب.. أوما؟

أمسكت ذراعه واتجهت معه نحو الباب:

ـ ما من مشكلة.. دعنا نذهب.

كان مع ستان في الخارج سيارة بانتظارهما.. وكان قد أحضر حقائبهما ووضعها في صندوق السيارة. لم يكن الفندق يبعد كثيراً عن المطار، بضعة دقائق فقط بالسيارة. وكان ستان صامتاً طوال الطريق، يركز على قيادته بين الزحام الذي كان شديداً حتى في مثل هذه الساعة.. وقبل أن تعي ما كان يحدث حولها كان ستان يعطي الحمال إكراميته، بعد أن أوصل الحقائب إلى باب الجناح المحجوز لهما.

سألها بعد أن أصبحا وحدهما:

ـ أترغبين في وجبة سريعة أو شيء ما؟

أومأت بالإيجاب، مع أنها كانت متعبة ولم تكن جائعة، إلا أنها كانت تعرف أنها إن اندست في الفراش الآن فلن تتمكن من النوم. رؤيتها لتود مرة أخرى حركت فيها الذكريات القديمة، والمخاوف القديمة.. كيف يمكنها الزواج من ستان دون أن تخبره عن ماضيها؟ وكيف، أو من أين، ستجد الشجاعة لتفعل؟

قال ستان:

ـ هذه فكرة جيدة على الأرجح.. لاحظت أنك لم تأكلي في الطائرة.. ستتامين بشكل أفضل إن تناولت بعض الطعام. سأطلب من مكتب الاستعلامات أن يرسل لنا القهوة وسندويشات.

منذ وصولهما إلى لاس فيغاس، كان ستان لطيفاً جداً، وجزع كثيراً عليها.. الغضب الذي كان بادياً على محياه في ڤانكوفر تلاشى وكأنه لم يكن.. بينما كانت تراقبه يتصل بمكتب الخدمات حيرها تصرفه.. فهو يتقبل الوضع بهدوء أكثر منها وأكثر مما توقعت. وهي تعرف أنه لا يحب أن تجري الأمور عكس ما يريد.. مع ذلك فهو يتصرف وكأنه سعيد، أو على الأقل راض بما انقلبت إليه الأمور.

قال ستان بعد أن أمسك يدها بلطف:

ـ الأفضل أن تنعشي نفسك بينما نحن ننتظر.. هيا ارتدي ثياب النوم، لتتمكني من النوم قليلاً فور انتهاء طعامنا.

نظرت إليه بعد أن جف فمها فجأة.. بدا عليه التعب حتى الإرهاق، لكن هذا ما زاد من جاذبيته.. فقال بهدوء:

ـ لا يجب أن تنظري إليّ هكذا.

ثم أحفض رأسه.. فأحاطها بين ذراعيه، يضمها بإحساس وحنان.. ولا قلق.. لكن صوته كان جافاً متوتراً وهو يقول:

ـ اذهبي وغيري ملابسك.

ثم أبعدها عنه، وسار عدة أقدام، مديراً ظهره لها.

- بدّلي ملابسك أوما.. فسيحضر الطعام قريباً.

جاءت خدمة الغرف بالطعام في غيابها، أعطاها ستان فنجان القهوة بصمت ثم أشار لها بالجلوس.. صينية السندويشات كانت على طاولة صغيرة، أعدت لنفسها سندويشاً بعد أن ارتشفت القليل من قهوتها.

مع أنه هو الذي طلب السندويشات إلا أنه لم ينضم إليها ليأكل معها.. وبدا مكتفياً بارتشاف قهوته بينما كانت تأكل. لم ينظر إليها في تلك الأثناء.. بل جلس يحدق بالأرض، وتنامى التوتر بينهما لذلك قفزت وجلة حين سأل فجأة:

- من كان الرجل الذي كنت تتحدثين إليه في المطار؟

تنحنحت باضطراب: تود مانسون.

- مدير أعمالك السابق؟

- أجل.

- إذن هو هنا.. في لاس فيغاس، أليس كذلك؟ ربما هذا أمر جيد.. أريد أن أقابله لأرى إذا كان بإمكاني أن أجد طريقة ما معه لفسخ العقد بينكما.. لا تجزعي أوما.. أعرف أنك لا تريدين العودة إلى عملك السابق.. لكن لا تعجبني فكرة ارتباطك به بهذه الطريقة.

ولم تكن الفكرة تعجب أوما كذلك.. ولم يعجبها أيضاً فكرة تكلّم ستان مع تود.. فمن يعرف ما قد يخبره به تود؟

- أظن أنه من الأفضل ألاّ تراه.. وكما قلت لا أريد العودة إلى مهنتي السابقة.. فلا فارق إذن إن كنت متعاقدة معه أم لا.. و.. لا أريد أن يكون لنا أي ارتباط به.

- أفهم هذا أوما.. لكنني أستطيع تسوية هذا الأمر دون أن تقابليه.. على أي حال سأصبح زوجك.. أعتقد أن على الرجل أن يعتني بزوجته، وأن يكون سداً منيعاً لها في مواجهة كل المواقف

الصعبة.. لا تقلقي.. سأتعامل مع مانسون بالنيابة عنك.

- أتمنى أن لا تزعج نفسك.

- أعتقد أنه واجب عليّ التدخل.. فذلك العقد يعطيه الحق الكثير.. إنه يمتلكك تقريباً كمغنية.

وقفت أوما وسارت حتى النافذة حتى أصبح ستان خلفها.. أخذت تزدرد طعامها بصعوبة، ثم تنفست عميقاً:

- أعرف أنه يمتلك أوما بايروت.. لكن ربما له الحق، فهو الذي اخترعني.

- ماذا تعني.. اخترعك؟

ضغطت بجبينها على زجاج النافذة:

- معظم ما كتب عن الثنائي بايروت كان مبتكراً، نتاج مخيلة تود. أراد أن يكون لنا صورة محددة، هكذا اخترع الخلفية العائلية لتتناسب الصورة. لكن الحقيقة لم تكن شيقة هكذا.

- وهل ستخبريني الحقيقة الآن؟

- سأحاول.. لقد نشأت أنا وباول في تورنتو.. والدنا لم يكن قسيساً.. حتى أننا لم يكن لنا أب.

هزت كتفيها وتابعت: أمنا لم تكن من النوع الذي يتزوجه الرجال.. هل تفهم قصدي؟ معظم الأوقات كانت تعيش على الإحسان.. مع أنها كانت تحصل أحياناً على عمل.. ربما في حانة أو مطعم. لم أكن أفهم هذا تلك الأيام.. لكن كان لها الكثير من الرجال الأصدقاء.. على أي حال هجرتنا عندما كان باول في الخامسة عشر وأنا في الثالثة عشر، لم أفتقدها أبداً. كان باول بعد رحيلها كأب لي أكثر مما كانت أمّ لي.. ربينا بعضنا البعض.

- لست أفهم.. ماذا عن الجمعيات الخيرية الاجتماعية؟ لماذا لم تذهبا إلى بيوت التربية؟

ضحكت بصوت خافت:

ـ لم يستطع أحد أن يلقي القبض علينا! فنحن خفنا من الفراق.. هكذا..

وهزت كتفيها.

ـ وكيف عشتما؟

ـ أوه.. لم يكن الأمر سيئاً.. حصلنا على غرفة.. المالك لم يكن ليهتم لعمرنا ما دمنا سندفع له.. وكان أحد «أصدقاء» أمي قد ترك غيتاراً خلفه عندما رحل.. وعلم باول نفسه العزف.. كنا نغني في زوايا الشوارع ليعطينا الناس مالاً.

ـ لست أرى كيف أن السلطات لم تقبض عليكما.. ماذا عن المدرسة؟

ابتسمت أوما قليلاً لسماعها السؤال، فهي تعي عدم الفهم والحيرة في صوته.

ـ لم نذهب إلى المدرسة.. ومن الصعب على رجل مثلك أن يفهم.. في مدينة كبيرة مثل تورنتو أو فانكوفر، هناك مئات الأولاد يهيمون على وجوههم هرباً من ذويهم، أو مهجورين مثلنا.

صمت ستان لحظات.

ـ ألهذا لم تتكلمي يوماً عن الماضي؟ ألأنه كان أتعس أيام حياتك؟

وقف خلفها فشاهدت صورته تنعكس على زجاج النافذة. لم تكن تريد التفرس جيداً في القسمات الضبابية، ولا تريد رؤية الشفقة التي توقعت رؤيتها مرتسمة على وجهه.. الوقائع بحد ذاتها تبدو كئيبة وقاسية وصادمة.. مع كل ذلك، عندما كانت تتذكر طفولتها تعود إلى الأيام التي أمضتها مع أخيها وإلى ارتباطها الدائم بأخيها.

قالت محتجة، صوتها مفعم بالمشاعر:

ـ لا.. لا تُسيء الفهم.. في تلك الأيام كنت أكثر سعادة من

أيامي التي تلت تلك الذكريات وحتى اليوم.. أنا وباول كنا قريبين جداً.. كان يحميني.. يعتني بي.. كان الأولاد الأصغر مني يجوبون الشوارع ويتحايلون للحصول على وجبة طعام.. لكن باول حماني من هذا النوع من الحياة.

ـ إذن.. ما هو دور تود ماتسون هنا؟

ـ سمعنا نغني وصور لنا مستقبلاً مضيئاً كالقمر، إذا جاز التعبير.. باول الذي اكتسب من حياة الشوارع الحكمة لم يثق به، لكنني كنت متلهفة للموافقة معه. أخيراً استسلم باول. كان هذا قبل ستة أشهر من مجيئنا إلى لاس فيغاس.. أعطانا خلالها تود دروساً في الغناء، والرقص، والإملاء، والدين.. كان قد خطط لتمثيلية، جمعها، ونفذ كل شيء. واخترع الثنائي بابروث.

التفت ذراعا ستان حولها، فالتفتت إليه باسمة.

ـ لماذا كنت خائفة من قول هذا لي قبلاً؟ صحيح أنها ليست الطفولة المثالية التي تتحدث عنها الدعاية لكنها تجعلني أعجب بأخيك وبك أكثر، لأنكما رميتما كل هذا خلفكما وبنيتما حياة شريفة.

لم يكن منزعجاً! رفعت نظرها إليه.

ـ لكن.. ماذا عن مستقبلك السياسي؟ قلت إنك تحتاج إلى صورتي النظيفة.

ابتسم قليلاً:

ـ لا زالت الصورة النظيفة موجودة، ولن يبحث أحد عن الحقيقة الآن.

ابتعدت عنه بلطف، وذهبت لتقف بعيداً عنه.. إنه حتى الآن لا يعرف إلا جزءاً من الحقيقة.. جزءاً صغير جداً.. وعليها أن تبوح له بكل شيء.. لكنها لا تستطيع!

ـ ستان.. أنا متعبة.. أتمانع إن نمت الآن؟

ـ بالطبع لا أمانع. كانت ليلة طويلة ومتعبة لك.

تقدم منها وأحاطها بذراعه ورافقها إلى باب غرفة النوم:

ـ هناك غرفة نوم أخرى في الجناح سأستخدمها. تصبحين على خير أوما.

ثم فتح لها الباب لتدخل.

خلعت روبها وأبعدت القماش الحريري الذي يغطي الفراش وهي تشعر بالتعب.. إنها مذهولة من تصرفات ستان وردة فعله. لم يبدُ عليه أنه اهتم كثيراً بأن تكون صورتها كذبة.. وشكت أن يكون مشفقاً عليها بعد سماعه قصة طفولتها.. وربما لم يصدقها عندما قالت إنها كانت سعيدة يومها، لكن هذه هي الحقيقة..

توسدت مخدتها وعيناها مبللتان بالدموع.. كيف حصل أن ابتعدت هي وباول عن بعضهما وقتذاك.. حتى أنها لم تشك يوماً أنه يتعاطى المخدرات إلى أن فات الأوان؟ ولماذا لم يخبرها تود؟ كان لا بد من وجود طريقة لمساعدته دون أن يعرف الجمهور..

في اليوم التالي تناولا الغداء في مطعم جميل في أحد فنادق شارع «ستريب» الفخمة.. ثم أخذها ستان إلى مكتب كاتب العدل حيث ستتم مراسم الزواج. كانت ترتدي بذلة صوفية خفيفة، بلون الكريم، تحته بلوزة «كريب دوشين» بلون أصفر فاتح.. أحضر لها أوما ودون توقع باقة ورود صغيرة البراعم بألوان اللافندر غير العادية، كانت تتناسب مع المجوهرات الجمشيت الليلكية التي ترتديها.

كان هناك نوع من التصلب في مراسم الزواج وهي تجري في غرفة مكتب مع اثنين من الموظفين يشاركان كشاهدين، ويبدو عليهما الضجر. عندما دس ستان الخاتم الذهبي في أصبعها وقبل خدها.. وجدت من الصعوبة أن تتقبل أنهما تزوجا فعلاً..

لكنها كانت مخطئة.

فما إن خطيا عتبة الباب الأمامي للمحكمة حتى وقفت مذهولة..

لماذا لم يحذرها ستان؟ السلم الأمامي الذي يقود إلى الشارع كان مكتظاً بالناس.. أشخاص يحملون آلات تصوير، وميكرفونات وآلات تصوير فيديو.. لقد وصلت الصحافة.. تلاشى تفكيرها في الهواء الذي امتلأ بصيحات: آنسة پايروت.. هل هناك حقيقة في الشائعة.. لماذا اخترتما لاس فيغاس.. أين.. شهر العسل.. أوما.. هل ستعودين إلى المسرح؟

أحاطها ستان بذراعه دليل الأمان فنظرت إليه بغضب، فأمال رأسه إليها وقال بصوت خافت:

ـ لا تنظري إلي هكذا أوما.. لم أتصل بهم.. لكن بما أنهم هنا يجب أن نواجههم.. هيا.. ابتسمي!

نظر إلى المراسلين المزدحمين وابتسامة مصطنعة على وجهه، ولم يكن أمام أوما خيار سوى أن تفعل مثله.. وكان يساعدها على نزول السلم وهو يكرر وكأنه اسطوانة مكسورة: «لا تعليق.. زوجتي ستصدر تصريحاً فيما بعد».

لحسن الحظ كانت السيارة متوقفة في مكان قريب.. ومع أن المراسلين لحقوا بهما إلا أن ستان تمكن من وضعها في السيارة، وأخذ مكانه خلف المقود دونما حاجة لقول أية كلمة للصحافيين.

جلست أوما مستقرة في مقعدها تنظر بصمت من النافذة، وستان يقود السيارة نحو الفندق.. للحظات كان يناور السيارات الأخرى بصمت.. ثم قال فجأة نافذ الصبر:

ـ توقفي عن لومي.. لم أتصل بهم..

ـ حسن إذن.. كيف عرفوا؟

صاح:

ـ وكيف أعرف.. اسمعي أوما.. توقفي عن الغضب والتفكير بالأمر.. كانوا سيعرفون في النهاية.. فلا فائدة من إغضاب نفسك.

ردت ساخطة: كنت أتمنى أن نتمكن من تجنبهم.

كانت تعرف أنها تتصرف كطفلة بإلقاء اللوم على ستان.. لكن وجود الصحافيين صدمها.. الآن، وهي تفكر بما حصل، أصبح لديها فكرة واضحة عمن أعلم الصحافة.. ولم تكن واثقة كيف عرف تود أنها قادمة لتتزوج.. لكنه كان يعرف أنها هنا.. اللعنة على تود! إذا كان يظن أنه قادر على استخدام ضغط الرأي العام لإجبارها على العودة إلى العمل له.. فلا شك بأنه مجنون.

نظرت إلى ستان خلسة.. بدت قسمات وجهه جانبياً جامدة وعنيدة، فعرفت أنه منزعج منها. ومن حقه أن ينزعج. عندما شاهدت كل أولئك المراسلين أحست بالذعر.. لكنه أخرجها من الموقف المزعج.. وكل ما فعلته أنها صاحت به غاضبة.

قالت بنعومة: آسفة ستان.. أعرف أنك لم تتصل بهم.. أعتقد أن تود هو من فعل هذا. لا بد أنه اعتقد أنه قادر على إجباري على العمل إن ضغطت عليّ الصحافة.

نظر إليها ستان ثم ابتعد بسرعة عن الطريق الرئيسية إلى طريق فرعية.. أوقف السيارة إلى جانب الطريق، والتفت إليها وضمها بين ذراعيه.

ـ لا تهتمي بما جرى أوما.. تود لن يتمكن من إجبارك على العودة إلى العمل.. أنا من سيتدبر أمره. أما الصحافة..

صمت قليلاً، واشتدت ذراعاه حولها:

ـ أتمنى أن أعدك بعدم اضطرارك إلى مواجهتهم مرة أخرى.. لكنني لا أستطيع.. لقد عملت طويلاً وهناك أناس كثر يعتمدون عليّ، ولا أستطيع التخلي عن مستقبلي السياسي الآن. وسيبقى الناس دائماً

فضوليين فيما يتعلق بنا.. أنا لأنني سياسي، وأنت لأنك أوما بابروت.. لكن أستطيع أن أعدك بهذا أوما: سأحاول أن أحميك بقدر استطاعتي.. وسأسعى إلى إبعاد حياتك كمغنية عن أذهان الناس.. سنجعلهم يعرفون أنك الآن السيدة ستان اواردز، زوجتي، وأن الماضي مات.. ولن أدع أحداً ينبش تلك الجروح القديمة حبيبتي.

فجأة لم تعد تستطيع النظر إلى عينيه، فدفنت وجهها في صدره.. لقد جعلها تحس بالأمان والحماية، وهي لم تخبره كل شيء حتى الآن. همست بصوت مخنوق: ستان.. يجب أن تعرف..

قاطعها بلطف: لا أوما.. ربما في يوم ما، سنتكلم أكثر.. لكن ليس اليوم.. ليس يوم زواجنا.. اليوم هو يوم للمستقبل، وليس للماضي..

عند وصولهم إلى الفندق تفاجؤوا بزمرة أخرى من المراسلين المتعطشين للأخبار بانتظارهما في بهو الفندق.. لكن مرة أخرى أخذ ستان زمام الأمور على عاتقه، ومرر أوما بينهم دونما صعوبة.. وكان في انتظارهما في الجناح طاولة مليئة بالمرطبات والمقبلات مع ستة دزينات من الورود الحمراء، تقدمة من تود مانسون، مما أكد شكوك أوما.

§

صفّر ستان: هدية مؤثرة جداً!

والتفت إلى أوما الجالسة على الصوفا:

ـ لا شك أنه يريدك أن تعودي إلى العمل بشكل يائس.

هزت كتفيها: لا بد أن قدماه مصابتان بالحكاك.

ـ ماذا؟

ـ قدماه تحكانه.. أنا وباول كنا نعلق ونضحك على لهفته على المال وكأن قدميه تحكانه.. كان يسعد بمتعة صغيرة وهو مدير لنا، هي اضطراره إلى السفر الكثير لجمع المواد لعملنا. كان يجد الأغاني لنا

بالفرنسية أو الإسبانية، ويترجمها لنغتيها.. ومع أن هذه المواد لم تكن جديدة، إلا أن ألحانها لم تكن مألوفة للسوق التي تتكلم الإنكليزية.. نظرياً أعتقد أنها كانت فكرة جيدة.

ـ من هذه الملاحظة، أفهم أنها لم تكن ناجحة عملياً.

ـ معظم ما كان يأتي به كان مجرد نفايات تافهة.. أغنيات لم نكن نستخدمها أبداً، إذ كانت تبدو سخيفة بعد الترجمة.

ـ يدهشني استمراره في هذا إذا كنتما لا تستطيعان استخدامها.

ـ كما قلت: قدماه كانت تحكانه.. الرحلات كانت من مصاريف العمل، وكانت تقتطع من أرباحنا.

نقل إلى الورود، واشتد ضغطه على فمه قليلاً. أخيراً قال:

ـ أعرف أنك لا تريدين هذا، لكن أعتقد أنه يجب أن أتكلم معه، لأجد وسيلة لإخراجك من ذلك العقد معه؟

هزت أوما رأسها رافضة فانزعج ستان من هذا، لكنه مع ذلك تخلى عن الموضوع، وقال:

ـ أعتقد أنه من الأفضل لنا تناول العشاء هنا، لتجنب أصدقائنا في البهو. إذا أردت تغيير ملابسك فافعلي، فأنا لدي بضع مكالمات هاتفية.. ثم نجرب هدية الصديق تود لنا.. كان من المفترض أن ألتقي بوالدي اليوم في ڤيكتوريا، ولقد نسيت كل شيء. ثم، أريده أن يعرف ماذا يجري، حتى يكون متحضراً حين يصله الخبر.

كانت أوما قد نسيت كل شيء عن جوليان اواردز في الأربع وعشرين ساعة الماضية.. هو لم يحبها كصديقة لستان، فكيف ستكون ردة فعله عندما يعلم أنها الآن زوجة ابنه؟ وقفت ببطء لتدخل غرفة النوم وتغير ملابسها. وكان ستان قد بدأ الاتصال هاتفياً.. ابتسم لها مشجعاً.. ولو أنها لا تعرف، لكانت مستعدة للظن أنه سعيد بزواجهما المفاجيء.

في غرفة النوم خلعت سترتها وعلقتها في الخزانة، ثم خلعت القرط الجمشتي، وبدأت تفك السلسلة الذهبية عن عنقها والتي تحمل قلادة مماثلة للقرط. لكن المشبك كان قاسياً، فحاولت إدارته إلى الأمام لتنظر إليه بشكل أفضل. لسوء الحظ، كان قد اشتبك بخيط يتدلى من بلوزتها، ولم ينحرك. ويجب أن تستدعي ستان لمساعدتها.

كان وقع أقدامها مكتوماً بالسجاد السميك. هكذا دخلت غرفة الجلوس دون أن يشعر ستان بوجودها.. كان لا يزال يتحدث في الهاتف وظهره لها. بقيت أوما قرب باب غرفة النوم، تنتظره حتى ينهي مخابرته.

مع أنها لم تكن تنوي استراق السمع، لم تستطع إلا أن تسمع جانباً من الحديث.. وسمعته يجاهد لوصف الثوب الذي ارتدته للزفاف.. ثم ضحك عالياً، تقريباً، وقال ساخطاً:

ـ أمي.. لست أدري نوع القماش! كان أصفراً وناعماً.. الآن، دعيني أتحدث إلى أبي.

كان الحديث مع أبيه أقل مرحاً، والسبب الأساسي أن ستان لم يقل شيئاً كثيراً، وكانت هي بعيدة عنه لا يمكنها أن تسمع قول الطرف الآخر.. فجأة انتفض ستان متوتراً وقال بخشونة:

ـ أنا أعي تماماً فائدة مستقبلي في اختيار المرأة «المناسبة» كزوجة لي.

ثم صمت يصغي إلى الرجل في الطرف الآخر من الخط، ثم صاح:

ـ أعرف كل ما أحتاج أن أعرف عنها.. لا.. لا أعتقد أن من الغريب أن تنهي عملها الفني بعد موت أخيها.. لست أدري ما تحاول أن تلمح إليه، لكنها أصبحت زوجة ابنك الآن.. لذا يجب أن تتقبلها..

اشتد بياض أصابع اليد الممسكة بالسماعة:

- كان واضحاً.. حادث سيارة، ولا فضيحة في هذا.. كانا قريبين جداً.. أما بالنسبة لغنائها الآن، فقد شرحت..

❁ ❁ ❁

١٠ ـ كل شيء للبيع

أقفلت أوما باب غرفة النوم بصمت تحاول ألا تنصت للحديث الهاتفي.. لماذا أصغت؟ ما من فضيحة؟! الفضيحة موجودة.. تنتظر وكأنها شبح في صندوق محكم الأقفال.. لقد غطت وتود حقيقة موت باول، وجعلاه يبدو حادث سيارة.. لكن لا شك أن هناك أشخاصاً غيرهما كانا يعرفان بأمر إدمانه على المخدرات، فهو لم يكن يعيش في فراغ. ماذا لو قرر أحدهم أن يفتح الباب لذلك الوحش ليخرج؟

أحست بالسقم.. لماذا لم تخبر ستان بالحقيقة كلها ليلة أمس؟ لم ترغب أن تبحث الأمر لأنه كان جرحاً غير مندمل في داخلها، وأرادت تجنب الألم الذي قد ينتج عن نبش الماضي. ولم يخطر ببالها أن سرّ تلك الفضيحة لم يكن حكراً عليها.

اللعنة على تود! ماذا ستفعل الآن؟ لقد أقفل الباب الوحيد الذي بقي مفتوحاً أمامها.. كان بالإمكان حدوث الزواج دون انزعاج، وينسيا الأمر كله.. لكن فات الأوان الآن، الجميع يعلم بزواجهما..

رفعت يدين مرتجفتين إلى وجهها إذ أنها لا تملك الشجاعة لإخبار ستان بأمر باول. السر كان آمناً لسنوات، وما عليها سوى الدعاء بأن يبقى آمناً.

نظرت إلى القلادة وأدركت أنها كانت تقف بالباب لفترة طويلة، وقد يتساءل ستان ما الذي حدث لها، ولا تريده أن يعرف أنها لم تبدأ بعد بتغيير ثيابها. هكذا أمسكت القلادة وجذبتها بقوة.. انقطعت السلسلة الرقيقة فأزالتها من حول عنقها.. خلعت ملابسها بسرعة

وارتدت فستان سهرة أخضر زمردي من «الكريب».. لن تحتاج سوى لحظات لوضع ماكياجها، ثم مشطت شعرها بسرعة، ووضعت عقداً ألماسياً وقرطاً مماثلاً وخرجت إلى غرفة الجلوس.

كان ستان لا يزال واقفاً قرب الهاتف عندما دخلت، كان ينظر إلى الهاتف وتعبير كئيب بارد على محياه. أحس بدخولها فالتفت إليها.. خطوط وجهه مريرة، شعر ذقنه كان بارزاً أمام شحوب وجهه.

تأرجح الصمت بينهما وكأنه الضباب الشديد.. وأحست أوما بقلبها يخفق في صدرها، فأخذت تتلاعب بالخاتم الذهبي الذي يحتضن أصبعها بتوتر.. أخيراً لم تعد تتحمل الصمت، فبللت شفتيها وسألته:

ـ أكان والدك.. متكدراً جداً؟

ـ لن يستقدم فرقة موسيقية لاستقبالنا.

أجفلت أوما.. دعك مؤخرة عنقه بأصابع يده، ثم نظر إليها، وعيناه أكثر ليناً:

ـ آسف.. ليس من حقي أن أصيح في وجهه.. لقد جن جنونه، وكنت أتوقع منه هذا. لكنني لم أكن أعرف.. ظننت أنه متى تم كل شيء، سيتقبله. أعرف ما يقوله الناس عنه، وأنه قوي الإرادة، ودون شفقة أحياناً.. لكن هكذا يجب أن يكون في عمله.. كان أباً صارماً، وربما متباعداً أكثر من بقية الآباء، لكنني طالما احترمته.. ولقد بدأت أعتقد أنني لم أعرفه أبداً.

قرأت أوما الألم وخيبة الأمل في عينيه قبل أن يدير ظهره لها.. كل هذه الورطة غلطتها.. كان عليها ألا تتركه يقنعها بالزواج منه.. وارتجفت يداها.. أرادت أن تتقدم إليه لتواسيه، لكن إحساسها بأن الأمر غير مناسب جعلها مسمرة في مكانها.. ما كان عليها أبداً أن تدخل حياته.

التفت إليها مجدداً، وابتسم لها:

ـ أنا آسف أوما.. لقد كان يوماً متعباً لك.. أليس كذلك؟ أنت تستحقين أكثر مما قدمته لك حتى الآن.. أعدك أنني سأحاول أن أجعل الغد أفضل من هذا اليوم.. لقد تعهدنا ببعض الوعود هذا الصباح، وأريدك أن تعرفي أنني سأتمسك بوعودي.. ربما أكون قديم الطراز، لكنني أظن أن الزواج يجب أن يبقى إلى الأبد. لا أؤمن بالطلاق عند أول مشكلة. علينا أن نعمل سوية على إنجاح زواجنا.. وإذا برزت المشاكل يمكننا التغلب عليها إن حاولنا.. ولسوف نحاول.. أليس كذلك أوما؟

أخفضت أوما رموشها، تخفي الخجل في عينيها.. إنه لا يعرف كل المشاكل التي سيواجهانها.. ولا يعرف أن بعضها لا يمكن التغلب عليه أبداً.. ومع تقدم الأمسية ازداد إحساسها بالذنب.. وكان ستان يحاول جهده الابتسام دائماً، فيمازحها بلطف وهما يتناولان وجبة الطعام. مع مرور الساعات كان ذنبها يزداد.. أحياناً كانت تشعر بنظرة كئيبة مرتسمة على وجهه، ولمحة غم في عينيه. وعرفت أنه يفكر بأبيه، بالشرخ بينهما.. شرخ سببه هي.

كانا يجلسان على الكنبة وذراعه حول كتفيها يشربان القهوة.. حرك ستان يده على ذراعها ثم أعادها إلى كتفها. ثم وضع فنجان القهوة من يده والتفت إليها.. عندما شعرت به يقترب منها أبعدت رأسها، ثم قفزت عن الصوفا وذهبت لتقف على بعد عدة أقدام منه.. عندما نظر إليها بدفء وحنان، فلم تستطع أن ترى سوى خداعها.. قالت بصوت مرتجف: دعنا نخرج قليلاً.

ـ نخرج؟

التفتت نحوه وابتسمت بجهد.

ـ أجل.. فلننزل إلى الكازينو. هناك مرح كثير.

الحماس الذي حاولت ضخه في صوتها، كان فيه رنة يأس، وجدته يقطب لأجلها. لكن هناك شعور داخلها دفعها إلى الرغبة بالابتعاد عن الغرفة، قبل أن يدفعها إحساسها بالذنب إلى قول ما تفضل عدم البوح به.

كان ستان يراقبها بحدة، يستوعب دلالات التوتر واليدان المشتبكتان معاً بشدة، والعينان الرافضتان النظر إليه.

ـ يكاد الليل ينتصف أوما..

ـ أنت تعرف كيف هي السهرات في لاس فيغاس.. الوقت لا أهمية له.

وقف ستان وتقدم منها..

قال بلطف، ويداه تحيطان بها.

ـ لا داعي لأن تكوني خائفة مني أوما..

ـ خائفة؟

ـ كنت متوترة طوال الأمسية.. وكأنك قطة على صفيح حار. صحيح أن الليلة هي أول مرة بالنسبة لك.. لكنها ستكون أفضل فيما بعد.. أعدك. الليلة ليلة عرسنا حبيبتي.. ولا أريد أن أقضيها في لعب الورق..

أخفض رأسه، يحاول معانقتها، للحظات قاومت، لا تلين، سلبية، بين ذراعيه.. ثم ببطء أخذت تسترخي، وسمحت لمشاعرها أن تنطلق وهي تستجيب للمسته الناعمة.. الذنب سيعاودها، لكنها الآن أخذت تتمسك بأنانية الحب الذي يعتمر في داخلها.. تترك لأحاسيسها أن تطمس ضميرها.

كانت مقطوعة الأنفاس عندما رفع رأسه، وابتسم لها، بسهولة رفعها عن الأرض، وبشكل آلي عقدت ذراعيها حول عنقه.. كانت عيناه زرقاوان صافيتان وأحست بالألم في معدتها عندما حدقت بعينيه.

إنه يستحق الثقة والصدق.. لكنها الآن أضعف من أن تقدمهما إليه.. بللت الدموع جفنيها فأغمضتهما وهو يسير بها إلى غرفة النوم.

مرت الأيام التالية مرضية بشكل غريب.. رتب ستان أمر ابتعادهما عن ڤانكوڤر لأسبوع.. ومع أنه اقترح أن يغادرا لاس فيغاس إلى مكان آخر، إلا أنها تمنعت بإقامتها هناك. فيغاس كانت مثل موطنها.. عاشت هناك خمس سنوات، وتعرف الأماكن البعيدة عن الأنظار التي نادراً ما يراها السواح.. وتمتعت بمشاركتها مع ستان.. كانت دائماً عرضة لأن يتعرف عليها الجمهور أو الناس، لكنها وجدت أن توقيع «أوتوغراف» سريع كان يرضي معظم المعجبين.

مع فقدان الورود لنضارتها، وتود لم يحاول الاتصال بها، تراخى التوتر بالتدريج من نفسها. كانت لا تزال تشعر بالذنب لأنها لم تخبر ستان بحقيقة موت أخيها، لكنها كانت تتجنب التفكير بالأمر غالباً.

مضى على زواجهما أربعة أيام، بعد ظهر أحد الأيام عادا في وقت متأخر إلى جناحهما في الفندق.. بعد أن أمضيا يومهما في مزرعة لأحد أصدقاء أوما القدامى.. عندما اتصل سيدني تروبرت يطلب منها زيارته، ترددت في الذهاب خائفة أن يبوح بشيء عن باول أمام ستان. لكن كان عليها ألا تقلق.. فالممثل الهزلي بدا وكأنه شعر أن أوما لا تريد التحدث عن الأيام الخوالي، فأبقى الحديث بكل سعادة فيما يفعلان الآن في حياتهما.

قال ستان وهو يدس المفتاح في باب جناحهما:

ـ ألن تستريحي لبعض الوقت؟ سنبقى ساهرين إلى وقت متأخر إن ذهبنا إلى استعراض سيدني منتصف الليل.

ـ أظنني سأفعل.. ألن تمانع؟ أعني الذهاب لحضور الاستعراض!

ـ بالطبع لا.. أنا أتطلع شوقاً له. أنا معجب بسيد، مع أنني أعترف أنه أعجبني أكثر بعد مقابلته.

بدت أوما متعجبة، فضحك وأحاطها بذراعه يضمها إليه.

ـ عندما اقترحت زيارته، خشيت أن تكوني ذاهبة للقاء حب قديم.

ـ سيد؟ إنه كبير بما يكفي لأن يكون جدي!

قال برضى وهو يفتح باب الجناح: «أعرف».

ثم توقف فجأة.. جوليان اواردز كان يقف في منتصف غرفة الجلوس.

ـ أبي! ما الذي تفعله هنا؟

أجابه والده: «جئت أتكلم معك».

مع أنه كان يخاطب ابنه إلا أن عينيه كانتا مركزتين على أوما.. وبرد دمها فجأة.. وذكّره ستان بلهجة باردة محتارة:

ـ أنا لا زلت في شهر عسلي أبي.. ألا يمكن الانتظار؟

ـ لا أظن هذا.. ألم تخبريه بعد ماذا تحضرين مع تلك الحشرة؟

حدقت به أوما بذهول، ثم حل الرعب ببطء في عينيها.. تود.. إنها لم تسمع شيئاً من تود في الأيام المنصرمة.. حتى أنه لم يحاول رؤيتها.. وهذا من غير عادته.. ماذا كان يفعل؟

حول ستان نظره إليها، ورأى أن اللون تلاشى من وجهها.. فأعاد النظر بسرعة إلى أبيه: «عمّ تتكلم؟»

البسمة التي لوت شفتي الأب كانت قاسية.. عيناه لم تغادرا أبداً وجه أوما:

ـ هل أقول له؟ هل أقول له كيف أن الباحثة عن الثروة التي كان ابني من الغباء ليتزوج منها، تحاول مد براثنها نحوي؟ هل أقول له إن عشيقك يحاول ابتزازي؟

وارتفع صوته بعد أن فقد سيطرته على أعصابه.. وكان في صوته ما هو أكثر من الغضب.. كان الانتصار مرسوماً على قسمات وجهه الخشنة.. استجمعت أوما شتات نفسها:

ـ إنه تود.. أليس كذلك؟ ماذا يريد؟

ردّ ساخراً: «لا تتظاهري بعدم المعرفة».

صاحت به وهي تغلي غضباً: «أنا لا أعرف!»

نظرت إلى الرجلين، ثم ركزت نظرها على ستان.. كان وجهه شاحباً كوجهها، وعيناه مليئتان بالحيرة..

فجأة جف غضبها: أي شيء يقوله والدك لا يهمني.. لكن تود مانسون ليس عشيقي، ولم يكن يوماً.. أنا أكرهه.. وكان يمكن أن أقتله لو استطعت!

أسرت نظر ستان لعدة ثوان، ثم رأته يأخذ نفساً عميقاً مهدئاً ويلتفت إلى والده:

ـ أريد أن أعرف ما حدث.

برقت عينا جوليان اواردز تنظرانها باحتقار، وحوّل اهتمامه لابنه:

ـ تود مانسون جاء وقابلني ليلة أمس.. لديه بعض الصور.. سيبيعها مع الأصل لي بمئة ألف دولار.. وسنضطر لأن ندفع له.. إذا نشرت الصور فستنتهي سياسياً.

رأت أوما ستان يبتلع ريقه بصعوبة، وازداد شحوباً.. وسأل: أي نوع من الصور؟

ضحك والده بلؤم، ونظر إلى أوما نظرة احتقار:

ـ ليست صوراً بذيئة إذا كان هذا ما تفكر به.. فلو كان الأمر هكذا لتركتها تُنشق. لا.. لكن بطريقة ما هذه صور أسوأ بكثير. إنها صور لموت أخيها، لجسده، وهي في الصور.

قطب ستان بهز رأسه:

ـ لست أفهم.. باول مات في حادثة سيارة.. واحترق جسده إلى درجة عدم التعرف عليه.

قبل أن يرد جوليان، قالت أوما بهدوء:

ـ ليس هذا ما حدث.. لقد جعلناه يبدو هكذا. باول.. مات بجرعة كبيرة من المخدرات. لم أكن أريد أن يعرف أحد بهذا.. لذا تركت.. تركت تود يقنعني بأن نخفي ما حدث.

وضعت يدها على عينيها، تجبر نفسها على أن لا تبكي.. فهي لم تكن تعرف بأمر الصور، ولم تع كيف التقطها تود.. مع ذلك لم تكن متعجبة.. لا شك أنه كان يخبئها طوال هذه السنوات منتظراً الفرصة المناسبة لتمزيق حياتها إرباً.

قال جوليان بسخرية:

ـ في الصور، تقف قرب جسده تحمل إبرة وظرفاً من المسحوق الأبيض.. ومن الواضح جداً ما حدث، وأنا...

قاطعه ستان بصوت حاد:

ـ متى يريد مانسون المال؟

ـ بعد الغد.. هنا في لاس فيغاس.. يريده نقداً وقطعاً صغيرة.. ويريده دولارات أميركية.

ـ إذن.. يمكنك العودة إلى فيكتوريا، وسأتولى الأمر بنفسي.

ـ أستطيع تحمل هذا المبلغ أكثر منك.. سأدفع له.. هذا واجب الآباء..

انفجر ستان غاضباً:

ـ قلت إنني سأتولى الأمر بنفسي! اسمع.. أنا لست طفلاً في السابعة من عمري، ومضطر لعون أبيه ليصلح له الأمور.. لقد كبرت حتى وإن كنت لا تريد أن تعترف بهذا.. أنا رجل الآن، وسأعتني بزوجتي.

رفع السيد اواردز رأسه بتغطرس نحو أوما:

ـ حسن جداً.. لقد قمت حتى الآن بعمل رائع في تركك هذه التافهة الصغيرة تنشب براثنها فيك. إذا كنت تريدها ما كان عليك أن

سوى أن تأخذها.. كنت غبياً بما يكفي لتتزوجها!

حبست أوما أنفاسها بينما كان ستان يشد قبضتي يديه، وبسرعة خطت بينهما:

ـ توقف عن هذا ستان! لن أدعكما تتعاركا لأجلي!

صاح ستان: ولن أدعه يتكلم عنك هكذا!

تمسكت بذراعه: أرجوك ستان.. انس الأمر.. أرجوك، لا تفعل شيئاً!

بعد دقيقة عذاب بطيئة من الانتظار، أحاطها بذراعه وأدارها ليواجها معاً جوليان اواردز:

ـ من أجل أوما.. وأمي.. سأتظاهر أنك لم تقل ما قلت.. أحببت هذا أم لم تحبه أوما زوجتي، ومن الأفضل لك أن تعتاد الفكرة.. الآن، أظن أنه علينا التأكد من المطار عن طائرة تقلك من هنا.

تجاوزه جوليان إلى الباب:

ـ لا تزعج نفسك، سأتولى هذا بنفسي!

فتح الباب وخرج، ثم صفقه بشدة خلفه.

كسرت أوما الصمت الذي تلا خروجه: أنا آسفة.. لم أكن..

صمتت لرؤيتها الكرب على وجه ستان، وقاطعها بخشونة:

ـ ألا يمكن أن نتكلم عن هذا فيما بعد؟.. يلزمني بعض الوقت لأستوعب كل هذا.. سأخرج قليلاً.. أنا آسف.. أعرف أنه يجب ألا أتركك هكذا.. لكنني الآن.. لا أعرف ما أقول لك.. لا أعرف بماذا أفكر.. لكنني أعرف أنك لم تحرضي تود مانسون على كل هذا.

ضحك بمرارة.. ثم قال:

ـ أثق بك أوما.. ومع أنك لم تثقي بي بما يكفي لإخباري حقيقة موت أخيك.. لكن.. أحتاج للانفراد بنفسي قليلاً.

صوت إقفال الباب الهادىء خلفه، بدا عالياً في سكون الغرفة.. إنه بحاجة إلى الانفراد بنفسه كي لا يتهور بالكلام.. لكنه لم يطلب مثل هذا الوقت عندما أصرّ على الزواج منها.. لذا لا شك أنه تعلم شيئاً من غلطته.. فكيف يمكن أن لا يندم بعد دخولها حياته.

عادت إلى الصوفا وهي معتمة بالدموع، وبكت دونما سيطرة على نفسها لعدة دقائق.. أخيراً نفدت دموعها، فاستلقت مرهقة ورأسها على الوسادة المبللة للكنبة. مع مرور أزمنتها العاطفية أصبح تفكيرها أكثر وضوحاً. كما أن ستان لا يستطيع أن يترك والده يدفع ثمن غلطته في الزواج منها، لن تستطيع هي أن تترك ستان يدفع ثمن ماضيها.. يجب أن تدفع بنفسها لتود.. لحسن الحظ وهي في عجلتها لتوضب ثيابها، دست مجوهراتها في الحقيبة.. ستأتي بها من خزنة الفندق، وعلى تود أن يقبل بها بدلاً من مال عائلة اواردز.

بعد ثلاث ساعات من هذا، وقفت أوما في ردهة فندق «كايزر بالاس» تقوي عزيمتها لتقرع الباب أمامها، تفكر بالبذلة المهترئة التي كان تود يلبسها عندما رأته في المطار.. إنه لا يضيع وقته.. عامل المقهى حيث سألت عنه قال إنه انتقل إلى هنا هذا الصباح من مكان سكن أقل فخامة بكثير.

رفعت يدها ودقت الباب، آملة أن لا يجيب أحد.. لكن الباب انفتح بعد تأخير قصير:

ـ آه.. أليست هذه أوما بايروت بنفسها؟

وضحك لها تود، ثم طوح بيديه إلى الداخل في إشارة ترحيب لتدخل، وسألها بعد دخولها بصمت:

ـ إلى من أدين بالسعادة لهذه الزيارة حبيبتي؟

حدّقت به وهو يتكىء بكسل على الباب، وقالت:

ـ أظنك تستطيع أن تخمّن.. تود.

ارتفع حاجباه في وجهه المراوغ الماكر، وقال:

ـ وهل أستطيع! ربما أنت تزورين صديقاً قديماً الليلة؟

ـ هذه ليست زيارة اجتماعية.. وتعرف هذا.

مط شفتيه ساخراً للقساوة في صوتها، واستوى في وقفته:

ـ حسن جداً.. حتى لو كانت زيارة عمل.. بإمكاننا أن نريح أنفسنا. أرجوك، اجلسي! سأطلب خدمة الغرف ليرسلوا لنا الشراب. لقد مضى زمن طويل لم نناقش فيه العمل معاً.. ويجب أن نحتفل بالمناسبة.

تقدم نحو الهاتف، وبقيت أوما حيث هي، وقالت بهدوء:

ـ لا أريد شيئاً منك ما عدا تلك الصور والأصل لها.

نظر إليها تود يتصنع السذاجة:

ـ أية صور هذه؟

ـ تعرف جيداً أية صور! أريدها.. أوه.. لا تقلق.. أعرف أنني يجب أن أدفع ثمنها.. لكنني أريدها.. ولا أريد تورط أحد من عائلة اواردز.. هذا الموضوع هو بيني وبينك.

سقطت الواجهة البريئة عن وجهه، وبدا الخبث في عينيه:

ـ وتعرفين كم أطلب ثمنها؟

ـ مئة ألف دولار.

ذكرها بابتسامة ساخرة: نقداً.

تمنت التوفيق من السماء قبل أن تقول:

ـ لا أملك المال النقدي. لدي مجوهراتي.. أنت تعرفها تود.. خذها مقابل الصور وأصولها. إنها تساوي ضعف ما تطلب.

نظر إليها مفكراً، ثم سأل بصوت ناعم: وهي تساوي هكذا.. أوما؟

ـ أنت تعرف تود.. لطالما تذمرت حول قيمتها عندما كان باول

بشتريها لي . . ولم أبع منها سوى مجموعة واحدة بعد موته . المجموعة الزمردية . . باقي القطع موجودة هنا .

دون اكتراث تقدم إلى الطاولة والتقط الصندوق، وفتحه . . أخرج اللآلىء وتفحصها . . وهي تراقبه يتلمس اللؤلؤ، أحست وكأنه ينتهك جسدها . . حتى إن رفض القبول بها، فهي تشك أنها ستتمكن من وضعها على بشرتها مرة أخرى إثر ملمسه لها . . قال بعد قليل :

- إنها جيدة . . كلها جيدة . . لكنها لا تساوي مئة ألف دولار .

ازداد توترها، لكن يجب أن لا تتركه يشعر بخوفها من ألاّ يقبل بها .

- هذه الجواهر تساوي ضعف المبلغ الذي طلبت .

هز كتفيه ورمى المجوهرات في الصندوق، ووضعه من يده .

- آسف صغيرة . . لا مجال .

قالت وأسنانها تصطك غيظاً .

- أريد تلك الصور وأصولها تود .

ابتسم بخبث : «ستحصلين عليها» .

- ماذا تعني ؟

- ستحصلين عليها بعد أن تكملي ما تبقى من عقدك، وأعني الغناء . . وتتوقفين عن الاختباء في كندا . أريدك أن تعودي إلى المسرح . . في المقابل سأعطيك الصور والأصول بعد سنتين .

أومأت رأسها رافضة دون وعي، فأكمل تود بصوت أجش :

- إما هذا . . أو أسلم الصور إلى الصحافة .

- وماذا لو أحضرت لك المال ؟

هز رأسه بحزم . . وقال ضاحكاً :

- ليس الآن . . لقد غيرت رأيي . . أظنك تعتقدين أن التراجع في الرأي حق محصور بالنساء . أليس كذلك ؟ هذه هي الطريقة الوحيدة

التي سأعطيك فيها الصور .

- لا أستطيع .

نظر إليها بعينين ضيقتين، ثم قال دون اكتراث :

- إذن، عودي لتخبري زوجك الجديد ما قررت . . وربما تذكرين له أنه إذا كان متلهفاً للحصول على الصور، سيتمكن من رؤيتها في الصحف .

- أنت تخادع !

- صحيح ؟ ربما سيهتم البوليس بتغطيتك لسبب موت شقيقك هكذا . . وقد يتساءل ما إذا كان ميتاً حقاً عندما رُميت تلك السيارة من فوق الصخور .

- كان ميتاً، وتعرف هذا . . ثم، كل هذا كان فكرتك لتغطية ما حدث حقاً . . وستخسر بقدر ما سأخسر لو نشرت هذه الصور .

قال باستهجان يهز رأسه :

- لا . . لن أخسر . بإمكاني أن أحضر عشرين شاهداً يقسمون أنني كنت ألعب القمار معهم تلك الليلة، وأنني لم أقارب الصحراء . كان هذا أنت ولاري فقط . . على فكرة سأشرح أنه هو من التقط الصور، وأعطانيها مؤخراً .

كان هذا مثل كابوس يتحول من سيء إلى أسوأ، مع ذلك لا تستطيع أن تستيقظ منه .

سألها : «حسناً . . ما هو ردك طفلتي ؟»

جف حلقها . . فبللت شفتيها بلسانها . . وهمست :

- سأكمل ما تبقى من عقدي .

ابتسم قائلاً : «عظيم» .

حاولت أوما أن تمد يدها لتأخذ المجوهرات استعداداً للخروج فأمسكها تود بذراعه . . فانتزعتها منه وكأن لمسته حرقتها .

ـ أتركها هنا أوما .. قد لا تساوي مئة ألف دولار .. لكنها قد تساعدنا على الانطلاق مجددا. ستحتاجين إلى ملابس .. وفرقة موسيقية، ومكان للتمارين .. هذا عدا ذكر الإعلان .. سأتصل بك في فندقك عندما أرتب الأمور.

تقدم إلى الباب يفتحه لها:

ـ عمت مساء أوما .. أحلاماً حلوة.

* * *

١١ ـ الماضي يموت مرتين

انفجر صوت ستان الغاضب فوق رأسها وكأنه موجة عارمة وهي تدخل الجناح:

ـ أين كنت بحق السماء؟

توقفت أوما غير قادرة على التفوه بأية كلمة.. أوشكت أن تفقد قدرتها على التحمل.. تتمنى لو أن الأرض تنشق لابتلاعها لتتخلص من العذاب الجهنمي الذي مر بها في آخر بضع ساعات.. والذي سيمر بها في السنتين المقبلتين.

أكمل ستان: أتدركين أنني كدت أجن قلقاً عليك؟ أين كنت؟

كان قميصه مفتوح الياقة وربطة عنقه مفكوكة، وهي تنظر إليه كالخرساء لاحظت أن لونه كان يخالطه لطخة رمادية غريبة.. وأكمل:

ـ لم أغب ساعة، وعندما عدت وجدتك قد اختفيت.. ربما كنت أنانياً في تركك وحدك.. لكن يجب أن تفهمي أن ما حدث كان كالجحيم.. ولم أرغب أن نناقشه.. نحن في ورطة لعينة، والمشاجرة لن تساعدنا في حلها.. لهذا وجدت أن من الأفضل أن أبتعد بضع دقائق لأستعيد السيطرة على أعصابي قبل أن نتكلم.

كان يتنفس بثقل وهو ينظر إليها، كلماته الأخيرة دلت على أنه لم يستعد سيطرته الكاملة على مشاعره:

ـ أنت لم تخطريني ولو بتلميح عما قد يحصل.. ظننت..

ظننت.. بعد أن أخبرتني عن طفولتك، ظننت أن حبك لأخيك هو السبب في عدم تحملك الكلام عنه.. ولم أتصور أنه مدمن على المخدّرات.

أشاحت أوما بوجهها نحو شفتها، وقالت بصوت ضعيف: أنا آسفة.

ـ أنا زوجك.. كنت أتمنى لو أنك وثقت بي.

كررت: أنا آسفة.. أعتقد أن والدك..

قاطعها بنفاذ صبر:

ـ دعي أبي خارج الموضوع.. أنت أسوأ منه.. هذا بيني وبينك.. ولا دخل له فيه.. أنت زوجتي، ولست زوجته.. كان واجبك البوح بكل شيء، ولا دخل لأبي.

لم تستطع النطق ولو بكلمة واحدة.. فتابع:

ـ على أي حال، وكما قلت سابقاً.. لا أريد الدخول في جدال حول هذا.. أين كنت؟

رن جرس الهاتف، فقال: هذا مايكل.

رفع السماعة: ستانلي اواردز يتكلم.. اسمع مايكل، سأدخل في الموضوع رأساً.. أتذكر تلك الوكالة التي كتبتها منذ بضعة أشهر أعطيك فيها الحق في تمثيلي؟ أريدك أن تذهب إلى مكتبي صباح الغد قبل فتح الأسواق، وأن تأخذ الوكالة وحقيبة الأوراق من الخزنة.. ما إن تفتح البورصة، أريدك أن تبيع كل الأسهم التي أملك.. اسمع مايكل.. أحتاج إلى مئة ألف دولار أميركي.. وبسرعة.. أعرف أنني سأخسر.. ولكن الآن لا أستطيع أن أشرح لك على الهاتف.. فقط افعل ما قلته لك تواً.. ثم ائتني بالمبلغ.. أجل حاول التمسك بأسهمي في شركة اواردز، لكن بعها إن لم يكتمل المبلغ.

ركضت أوما إليه تمسك ذراعه:

ـ لا ستان.. لا تستطيع فعل هذا.. ثم إنك لن تحتاج.. لقد توليت أمر تود.. قابلته الليلة. لم تعد بحاجة للمال الآن.. لم تعد بحاجة إليه!

نظر إليها مقطباً، ثم كلم صديقه في الطرف الآخر:

ـ أنت في شقتك مايكل، أليس كذلك؟ سأتصل بك بعد دقائق.. شيء ما حدث هنا..

وضع السماعة مكانها، وسألها ببطء:

ـ عمّ تتكلمين؟ لماذا لانحتاج إلى المال؟

ترددت أوما.. ثم قالت:

ـ ذهبت لرؤية تود.. أردت الحصول على الصور منه.

ـ ما كان عليك الذهاب وحدك.. قد يكون خطراً.. لكن هل حصلت على الصور؟

ـ لا.

ـ لا؟ ما الذي حدث إذن؟

ـ اتفقنا على أن يعطيني الصور شرط عودتي للعمل حتى انتهاء مدة العقد بيننا.

ـ شرط.. ماذا؟ هل جننت؟ لا يمكنك العودة للعمل معه.. إلا.. بالطبع، إذا كان هذا ما تريدين؟

صاحت باكية:

ـ بالطبع ليس هذا ما أريده! لكنها الطريقة الوحيدة.. أعطيته مجوهراتي، لكنه قال إنها لا تكفيه.

ـ واستبقاها؟

ـ أجل ليدفع مصاريف تحضير العرض لي مرة أخرى.

أخذ ستان يلعن من بين أسنانه، وأجفلت أوما.

ـ هل أنت واثقة أنك لا تريدين العودة للعمل معه؟

ردت باكية: تعرف هذا.

ضمها بين ذراعيه:

- لا تبكي أوما.. لست مضطرة للعودة إليه.. سندفع له.

- أنت لا تفهم ستان.. قال إنه يرفض أخذ المال الآن.. ويصر على أن أعمل له.

وضع إصبعه تحت ذقنها، ورفع وجهها إليه.. قبلها بلطف، ثم أبعد رأسه:

- أنا واثق أنه سيأخذ المال.. الآن دعني أتصل بمايكل كي يبدأ بجمع المبلغ.

تراجعت أوما وهي تهز رأسها:

- لا أريدك أن تدفع له.. ولا أريد أن أعمل له.. لكنني أعرفه جيداً، وإذا قال إنها الطريقة الوحيدة فلن يغير رأيه.. ستضيع وقتك ومالك.. حتى لو أخذ المال فلا أظنه سيتخلى عن الصور الآن.

- ثقي بي ودعيني أتعامل معه.. أظنه سيأخذ المال ما إن ندفعه له.

- لا.. لن يفعل.. ثم هذه ليست مشكلتك.. إنها مشكلتي، باول كان أخي، وكان عليّ أن لا أخفي أي شيء يتعلق بحياته ولا أريدك أن تتورط في هذا.

شحب وجهه بعض الشيء عندما تكلمت، وأبقى عينيه بعيدتين، ثم قال بصوت متجهم:

- هكذا إذن.. سامحيني.. لقد ظننت، كوني زوجك، أن مشاكلك تصبح مشاكلي.. لكن واضح أنك لست موافقة على هذا..

التوى فمه بمرارة، ونظر مباشرة في وجهها، عيناه الزرقاوان اسودتا كما لم ترهما من قبل.

- حتى مع عدم اتفاقنا.. أظنك يجب أن تتقبلي أن للأب أو الأم مسؤوليات محددة.. هل نسيت أنك قد تكونين حاملاً؟ سأتصل

بمايكل ليجمع المال. وإذا كنت تظنين أنني أتدخل في شؤونك فأنا آسف، لكنني لا أفعل هذا من أجلك.. أفعله لأجل الطفل الذي قد يكون مهدداً إن كنت حاملاً وتابعت عملك.

أحست كأنه صفعها. فحولت وجهها عنه مخفية دموعها.

- أفهم هذا.

وسارعت إلى غرفة النوم.

علق مايكل كوبر يتسلى بالنظر إلى داخل الحقيبة المفتوحة المليئة بأكوام الأوراق النقدية.

- يا إلهي.. يبدو هذا مبلغاً ضخماً جداً.. مع أنها قطع صغيرة.

رد ستان بجفاء:

- وهو حقاً مبلغ كبير.

لكن أوما تجنبت النظر إلى المال.. مجرد التفكير فيه يجعلها تشعر بالسوء.. كل هذا لا جدوى منه! فإن قبل تود بالمبلغ سيقول إنه لتغطية مصاريف إعادتها إلى المسرح.. أو للتغطية على فعلتها، ولن يتخلى عن الصور أو أصولها.. هي متأكدة من هذا.. يحب تود العيش تحت الأضواء.. ويحب أن يكون أيضاً الرجل الفريد والنجم الكبير..

كان مايكل وستان يفكران بطريقة لإيصال المبلغ إلى تود، وحاولت إبعاد أصواتهما عن تفكيرها.. لقد سمعت مايكل يقول له إنه خسر كثيراً ببيعه أسهمه، وهذا ما أتعسها كثيراً.

قُرِعَ الباب.. وتبادل الرجلان النظرات.. إنهما متوتران، لكن من يلومهما؟

أقفل ستان الحقيبة وأعطاها لمايكل قائلاً:

- انتظر في غرفة النوم مع هذه.. سأفتح الباب بنفسي.

فتح ستان الباب وقال بصوت مصدوم:

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

في الباب رجل أسود ضخم الجثة، وهو أطول من ستان وأعرض منه بكثير.. مع ذلك كان مظهره طفولياً بشكل غريب، رفع قبعته قائلاً:

ـ جئت لأرى أوما.

عندئذ فقط نظرت أوما لترى من هو..

قال ستان باستغراب: زوجتي؟

صاحت أوما ما إن تكلم زوجها: لاري!

أضاءت البسمة وجهها وركضت إليه، ويداها ممدودتان.. عندما وصلت إليه، رمت بذراعيها حوله.. كان مصارعاً سابقاً، وله قسمات بسيطة، وبشرة بلون خشب الجوز المصقول.. في السنوات القليلة الماضية لم تره أبداً.. تغير شكله منذ أن رأته آخر مرة منذ سنوات فقد رق شعره الأسود المجعد كثيراً، لكن قسمات وجهه على حالها. فعيناه بنيتان، لطيفتان على طرفي أنف مشوه.. مظهره منسجم مع خجله الطبيعي، هذا ما كان يدفع الكثير من الناس إلى وصفه بالغبي الساذج.. في السنوات التي عمل فيها مع باول كانت أوما تكنُّ له احتراماً خاصاً لقدراته الفكرية، فلاري لم يكن ذلك الثور البليد كما هو مظهره..

قالت صادقة: لاري.. جميل جداً أن أراك ثانية.

وقفت على أطراف أصابع قدميها وعانقته.. ابتسامتها ازدادت عمقاً عندما لاحظت خجله وهو ينظر معتذراً.

نظرت بدورها إلى ستان فرأت أن وجهه مزيج من الحيرة والارتباك. قالت بصوت خافت:

ـ ستان.. كل شيء على ما يرام.

ثم رفعت صوتها: هذا لاري مايبوري، كان يعمل لباول.. إنه

صديقي.. لاري هذا زوجي ستان اواردز.

بعد دقائق كان الثلاثة يجلسون في غرفة الجلوس.. وكانت أوما تود لو تدعو مايكل للانضمام إليهم، لكن ستان منعها بنظرة منه.. لم تكن تلومه لشكه بلاري. بعد تود، له كل الحق أن يحذر من كل معارفها.

أخيراً قال لاري دون مقدمات شارحاً سبب زيارته:

ـ ما هذا الذي أسمعه عن عودتك إلى العمل لمصلحة تود، يا فتاتي الصغيرة؟

ردت بهدوء: «هذا صحيح».

ـ إنه شخص سيء.. جئت أحذرك بأن تبقي بعيدة عنه.

ـ ليس أمامي خيار آخر لاري.

ـ ماذا ينوي هذا القذر أن يفعل؟

فتحت يديها دليل عجز.. ثم نظرت إلى ستان.. كان يدرس لاري مفكراً.. ثم حول نظره إليها.

ـ سأقول له أوما.. إنه يبتزنا.. يهدد بأن ينشر حقيقة موت شقيق أوما. ولا علم لي إن كنت تعرف هذا، لكنني أعمل في مجال السياسة.. ولو انفضح الأمر فسيتضرر مستقبلي كثيراً. في البداية طلب المال.. الآن، لا تظن أوما أنه سيقبل به لأنه يريدها أن تعود مجدداً للعمل معه.. لكن الأمر لن يصل إلى هذا.. المال معي.. وإذا لم يقبل به.. عليه أن ينشر كل معلوماته عندها تحدث الفضيحة، لكننا سندبر أمورنا.

التقت عيناه بعيني زوجته، وكانتا شديدتي السواد. وبدأتا بفضح مشاعره التي لم يبح بها في كلمات. اقشعر بدنها، مع ذلك أحست بنار تتأجج في مكان ما في داخلها.. لم ينظر إليها هكذا قبلاً، وكأنها أهم شخص في حياته.. كأنه يحبها..

كسر صوت لاري الأجش اللحظات الحميمة فأعادا اهتمامهما إليه:

- تود يخدعكما.. لن تكون هناك فضيحة.

قالت بأسى: لا أظنه يخادع لاري.

- بل يخادع، فهو الذي سيطير رأسه إذا انكشف حقيقة ما حدث. أنا وهو كنا نكذب، فإن باول لم يكن مدمن مخدرات.

نظرت إليه بذهول، ثم هزت رأسها بنكران عفوي:

- ماذا تعني.. بأنكما كنتما تكذبان؟

- لم يكن صحيحاً ما قاله لك عن باول.. لم نكن نريدك أن تهرعي إلى الشرطة، وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي فكر بها لمنعك.

تحرك لاري إلى الأمام في مقعده، يضع مرفقيه على ركبتيه، ويركز عينيه على وجهها:

- أنا آسف أوما.. لقد أجبرني تود على دعمه.. ولا أظنه كان يعتقد أنك ستتخلين عنه.. ولو لم تهربي لكنت قلت لك الحقيقة.

قاطعه ستان: «لا أظنني أفهم!»

نظر لاري إليه وسأل:

- ماذا تعرف عن موت باول؟

هز ستان كتفيه:

- أنه مات من جرعة مخدرات كبيرة.. وأن تود وأوما غطيا الأمر وكأنه حادث سير.. أخفيا الأمر وجعلا موته يبدو ناتجاً عن حادثة سير.

- أنا كنت هناك أيضاً.. وكم تمنيت لو لم تهرب أوما.. عندما وجدناه كان يجب أن نقول لها شيئاً.. هكذا قلنا لها إن باول كان يتناول المخدرات منذ أشهر.. هكذا لن تسأل كثيراً، وستساعدنا لتغطية حقيقة موته.. كانت هذه كذبة أوما.. باول كان نظيفاً.. لم يكن

مدمناً.

مررت يدها في شعرها مشوشة:

- لكن.. لست أفهم.. كان ميتاً.. وكان هناك إبرة.. والأشياء الأخرى.. كيف..؟

- لقد قُتل أوما.

مرت ثوانٍ طويلة ثقيلة من الصمت المطبق، كانت أوما خلاله تحدق بلاري دون أن تصدق ما قاله، كان وجهها خالٍ من اللون.

التفت ستان ورفع حاجبيه تساؤلاً، فهز الرجل رأسه..

مرت لحظات وهي مذهولة، ثم بدأت صدمة كلمات لاري تتلاشى وتمكنت أن تقول:

- أريدك أن تشرح لي لاري.

أطرق رأسه، وارتشف قليلاً من قهوته:

- إنها قصة طويلة.. التقيت بتود في نيويورك منذ خمس عشرة سنة.. مع أنه كان يستخدم اسماً مختلفاً يومها.. وعملت له. كان مرابياً، وكنت أنا وكيله في جمع ديونه، وأعتقد أنك تفهمين معنى هذا.. بعد بضعة أشهر تركت العمل معه.. لم يكن لديّ قوة الاحتمال لأستمر في تحطيم سيقان الناس.

قطب بخشونة، ورفع فنجانه وارتشف رشفة أخرى.. ثم تابع:

- قطعت صلتي به لبضعة سنوات، إلى أن التقينا مرة أخرى في فيغاس.. لكنه يومها كان منتحلاً اسم تود مانسون.. مكتشف المواهب ومدير أعمال الثنائي بايروت.. وقتذاك سألني ما إذا كنت أريد عملاً كحارس شخصي لباول. أردت الرفض بادئاً فبعد نيويورك، أمضيت سنتين في السجن، وعند خروجي منه أقسمت أن أبقى بعيداً عن المشاكل. ولم أرغب بالتورط مرة أخرى لكنني التقيت بباول وأحببته.. وبما أن تود كان يبدو لي نظيفاً قبلت العمل.

توقف قليلاً وأدار الفنجان في يده، ثم تابع قائلاً:

- إلى أن اكتشفت ما كان تود يخطط له، كنت قد تعلقت كثيراً بك وبأخيك، ولم أعد أريد أن أترك هذا العمل.. ظننت أنني قادر على إبعادكما معاً عن المتاعب، وعلى حمايتكما من تود.. لكنني للأسف لم أستطع.

قست ملامحه غضباً واشمئزازاً من نفسه.. وسأله ستان بعد طول صمت:

- ماذا كان يخطط ماتسون؟

نظر إليهما: خلال رحلاته المتعددة، كان يحضر معه تذكارات.. مثل الكوكايين والهيروين.. اكتشفت ما كان يفعل.. لكن بطريقة ما عرف باول الحقيقة.. كونه ولداً تربى في الشارع فقد هدد تود مباشرة بأن يشي به.

- وهل تقول إن تود...؟

- لا أوما.. تود ليس قاتلاً.. لكنه ذهب إلى الممولين الذين يعمل معهم وقال إن باول يسبب له المتاعب.. كان يريدهم أن يخيفوه فقط..

صمت مرة أخرى، وشرب ما تبقى من القهوة:

- كان تود يأخذ من كل توصيلة قليلاً ظناً منهم أنهم لا يعلمون.. لكنهم عرفوا.. لهذا قتلوا باول وانتقموا من تود لأنه كان يغشهم.

وضع لاري فنجانه الفارغ على الطاولة الصغيرة إلى جانبه وتحرك كأنه ينوي الوقوف.. لكن ستان قال فجأة:

- وماذا عنك؟ لماذا بقيت صامتاً؟ لماذا ساعدت تود على إخفاء حقيقة موت باول؟

تنهد لاري بمرر يداً ضخمة حول مؤخرة عنقه:

- أنت لا تعرف نوع الناس الذين كان تود يتعامل معهم.. لكانت

حياتي، وحياة أوما، لا تساوي ستاً واحداً بالنسبة لهم لو ذهبنا إلى البوليس مع الحقيقة.

نظر بتجهم إلى أوما:

- لا تقلقي صغيرتي.. لم ينجوا بفعلتهم.. أنت وباول كنتما أقرب الناس إليّ كعائلة.. لقد توليت أمرهم.

نظر ستان إلى الرجل الأسود الضخم بذهول:

- أتعني.. أنك..؟

هز لاري كتفيه وضحك:

- أوه.. لا.. ليس هذا! بعد فترة «الراحة» في السجن، اكتشفت أن هناك أشياء أسوأ من الموت. إن من أذوا باول اكتشفوا هذا الآن.. كان سهلاً أن أجد ممسكاً ضدهم.. لكنني أردت أولاً إبعاد أوما.

وقف فجأة: من الأفضل أن أذهب.. ولا تقلقي من تود.. سأتحدث معه.. ولن يزعجك مجدداً.

مد يده وصافح ستان بعد أن وقف:

- أنا سعيد بمقابلتك، لقد فكرت كثيراً بأوما في السنوات الماضية.. ومن الرائع أن أعرف بأن عندها من يعتني بها.

التفت نحو أوما، وجهه لطيف كالأطفال لكن الحزن في عينيه:

- أنا آسف صغيرتي لاضطراري إلى الكذب عليك وقتذاك.. لكن هذا كان العمل الوحيد الذي فكرت أن أفعله.. فهل تسامحينني؟

ابتسمت أوما له وقد اغرورقت عيناها بالدموع، قالت هامسة:

- بالطبع.. وأنا أفهمك.

لفت ذراعيها حوله.. للحظات أمسكها بقبضته القوية ثم تركها.. وهو يتراجع إلى الخلف لمحت أوما لمعان دمع في عينيه.. ونظر إلى ستان بعناد وقال بصوت أجش: اعتني بها.

وسار نحو الباب.

عادت أوما إلى الصوفا تلتقط وسادة تنفضها دون وعي، بعد لحظة ضمتها إلى صدرها. كانت المشاعر تتصارع متعثرة في داخلها، ترفض تصديق ما حصل.. معرفتها ببراءة باول أفرحتها جداً من جهة وأتعستها من جهة أخرى لأنها ظلمته بالحكم عليه، ولأنه لم يخنها بل هي التي خانته بتصديقها أنه فعل شيئاً مريعاً كهذا.

دون أن تعي بدأت الدموع تتسلل ببطء إلى خديها.. خمس سنوات! لخمس سنوات من حياتها أدانته دونما حق.. لو أنها فقط لم تصدقهما!

التفت ذراع على كتفيها.. الوسادة التي تحتضنها انتزعت منها.. وضمها ستان إلى صدره، يشدها إليه بقوة.. دفنت وجهها في صدره، وتدفقت الدموع كسد انفجر في داخلها.. النحيب أخذ يهز كيانها، واشتدت ذراعا ستان أكثر وأخذ يتمتم بلطف في أذنيها، للتخفيف عنها.. وقال بخشونة:

ـ هيا الآن أوما.. هذا يكفي.

هزت رأسها نفياً:

ـ ما كان عليّ أن أصدق.. لقد أحببت باول، كان عليّ أن أثق بهما ويكذبهما.

وضع يديه على كتفيها يبعدها قليلاً عنه: «أوما».

لكنه رأى أن الدموع لا زالت تتدفق، فهزها قليلاً ليجبرها على السيطرة على دموعها.

ـ أصغي إليّ أوما.. كنت مضطرة لتصديقهم.. لقد سمعت ما قاله لاري.. كان باول يخاف من تعريضك للخطر.. أرادك أن تكوني بأمان.. لقد عذبت نفسك خمس سنوات ظناً منك أنه مدمن، ولن أتركك تعذبين نفسك خمس سنوات أخرى لأنه لم يكن هكذا.

كبحت موجة دموع أخرى: أعرف أنك محق.

استكانت بين ذراعيه لدقائق وهو يملس شعرها مهدئاً.. ثم قالت بصوت خافت:

ـ أنا آسفة لأنني ورطتك بكل هذا. أعرف كم يعني لك مستقبلك السياسي.. ظننت الأمر سيبقى سراً.. وأنني.. وأنني إن لم أبح به لأحد.. فلن يعرف أحد.. ثم فات الوقت.. فهل ستغفر لي؟

أبعدها عنه ينظر إلى وجهها:

ـ أغفر لك؟ إذا كان لأحد أن يطلب الغفران فهو أنا..

لمع في عينيه احتقاره لذاته وأكمل:

ـ مستقبلي.. والعذاب الذي مررت به باسم مستقبلي اللعين! تلك الليلة يوم بكيت بين ذراعي.. أحسست بشعور لم أحس به من قبل.. لهذا سافرت إلى الصين.. كنت خائفاً.. ثم، عندما علمت أنك عذراء تشجعت للاحتفاظ بك إلى الأبد. ثم، عندما جاء أبي، وأخبرنا عن نود.. اضطررت إلى مواجهة ما كنت أحاول فعله بك: كنت أحاول استغلالك لمصلحة مستقبلي السياسي، أن أرميك في وجه أبي لأظهر له استقلاليتي، بإجبارك على الخروج معي، ثم الزواج بي.. تلك الليلة، كان عليّ أن أواجه ما يكلفك كل هذا.. عندما خرجت لأفكر قليلاً، كان هذا لأنني كنت خجلاً جداً من مواجهتك.. منذ عودتي، وأنا راغب في التعويض عليك، أن أحميك من ذلك القذر نود..

أنهت له كلامه بهدوء:

ـ كنت قد وافقت على العودة إلى العمل معه.

ـ لم أكن لأتركك تعودين إليه وأنا أعرف ما هو شعورك. لا.. حتى ولو لم يظهر لاري هذا ما كان ليحدث أبداً.

ـ لكن لو نشر تلك الصور، وأخبر تلك الأكاذيب.. كان كل شيء سينتشر في الصحف.. وكل خططك.. وطموحك..

قاطعها: لن يهمني.. ألم تفهمي؟ أنا أحبك.. لزمني وقت طويل

لأعترف بهذا.. لكنني أحبك أوما.. في الليلة التي جاء فيها أبي، أدركت أنني بإجباري لك على العودة إلى الأضواء كنت مسؤولاً عن جعلك تعيسة مثلي تماماً مثل تود أو أخيك أو أي شخص آخر.. وهذا ليس حباً.. أردت حمايتك من الفضيحة، وليس حماية مستقبلي.. عندما أخبرتك عن قلقي حول مجيء طفل محتمل، كان هذا لأنني مضطر إلى قول ما يدفعك إلى تركي أساعدك.

ـ وأنا كنت أحاول حمايتك! لأنني أحبك كثيراً ولم أرغب أن تتورط في ذلك المأزق الحرج.. ثم أنت وأبوك..

ـ توقفي عن القلق حول أبي.

وضع أصبعه تحت ذقنها ورفع وجهها، ثم قال:

ـ هذه أول مرة تخبريني فيها.. أنك تحبينني.. فهل تحبينني؟

ابتسمت له وعيناها تلمعان، وهزت رأسها ببطء.

احترقت في عمق عينيه الزرقاوين شعلة حارة وهو يرد لها ابتسامتها:

ـ في هذه الحالة، لا داعي للقلق حول أي شيء طالما نحن متحابان.

بقيت الغرفة صامتة لعدة لحظات، وهما يعبران عن حبهما بطريقة مقنعة أكثر، ثم قادها إلى غرفة النوم.

توقفا معاً بذهول للمنظر الذي واجههما.. كان مايكل ممدداً في منتصف السرير، قدماه، متقاطعتان وذراعاه خلف رأسه، ينظر إلى السقف وابتسامة سخيفة على وجهه.. والأكثر إثارة للذهول كانت مئات الأوراق النقدية الخضراء المنتشرة فوقه وفوق السرير.

ضحك ستان.. فقفز مايكل من السرير على الفور ينشر الأوراق النقدية خلفه، وأصبح لونه قرمزياً براقاً:

ـ أوه.. اللعنة! لقد نسيت أمركما!

وسارع إلى لملمة ما وقع من مال على الأرض.

سأله ستان: ماذا تظن نفسك فاعلاً بحق السماء؟

استقام مايكل وعلى وجهه تعابير الخجل:

ـ حسن.. أترى.. بقيتما في الغرفة الأخرى لفترة طويلة. حسناً.. أعني.. ضجرت.. و.. لطالما كان لدي هذا الهوس..

وصمت.. عيناه تتحركان بسرعة إلى كومة المال:

ـ ظننت أنني قادر على إعادتها كما كانت قبل دخولكما إلى هنا.

سمعت أوما ستان يضحك، لكن تعابير وجهه بقيت صارمة وهو ينظر إلى صديقه:

ـ أتدرك أن هذه.. مئة ألف دولار؟

ـ أعرف.. وأظن أن هذا ما أفراني! لم أشاهد من قبل مثل هذه الكمية من المال في قطع نقدية صغيرة.

التوت شفتا ستان.. لكن مايكل تابع بسرعة:

ـ اسمع.. سألتقطها كلها.. سأعدها.. وأتأكد أنني لم أفقد شيئاً منها.

تنحنح ستان:

ـ لا تزعج نفسك.. أنا وأوما سنتولى هذا.. لدي مهمة لك.. أريدك الوصول إلى تود قبل أن يهرب، وأن تأتي بمجوهرات أوما من عنده.

ارتفع حاجبا مايكل، فأضاف ستان:

ـ لن تجد مشكلة معه.. قل له فقط إنك صديق لاري مايبوري. والآن ماذا عن الخروج من هنا بسرعة؟

بدا على مايكل وكأنه يريد طرح بضعة أسئلة، لكنه شاهد وجه ستان الصارم.. فكبت أسئلته.. ما إن أقفل الباب خلفه حتى أطلقت أوما سراح الضحك الذي كان يهدد بخنقها وانضم ستان إليها في

ضحكة منخفضة، ثم تعالت ضحكاتهما إلى ضحك مجلجل مع سماعهما باب الجناح الخارجي يصفق خلف مايكل.

استطاعا أخيراً السيطرة على ضحكهما.. فجأة نظر ستان إلى أوما، ثم إلى المال المكوم على السرير.. وبرق لمعان خبيث في عينيه:

ـ هل كان عندك يوماً حلم خيالي أوما..

دون أن يعطيها فرصة الرد رفعها عن قدميها واتجه بها نحو السرير.

* * *

www.liilas.com

بلا عنوان